الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة–

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

رقم:.....

علاقة الفاتحين المسلمين بالبيزنطيين في بلاد المغرب خلال القرن السابع ميلادي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ القرون الوسطى

من إعداد الطالبين :

- ياسين شريف
- يونس دبش

لجنة المناقشة		
اسم ولقب الأستاذ (ة)	المؤسسة الجامعية	الصفة
	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	رئيسا
أ. سمير العيداني	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	مشرفا ومقررا
	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1437–1438هـ/ 2016–2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

العناوين	الصفحات
. شكر و عرفان	
. الاهداء	
مقدمة	أ-- ج
الفصل الأول: بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي	07
. المبحث الأول: تعيين بلاد المغرب ، حدودها ، أقسامها	07
. المطلب الأول: تطور تسميات بلاد المغرب	07
. المطلب الثاني: حدود بلاد المغرب	10
. المطلب الثالث: أقسام بلاد المغرب	14
. المبحث الثاني: الأوضاع العامة في بلاد الم	17
. المطلب الأول: الأوضاع السياسية	17
. المطلب الثاني: الجانب الاقتصادي.	19
. المطلب الثالث: المجتمع	21
. المطلب الثالث: الوضع الديني	22
. المبحث الثالث : مناطق نفوذ البيزنطيين	24
. المطلب الأول: المناطق المدنية	25
. المطلب الثاني: المناطق والتحصينات العسكرية	27
. المطلب الثالث : المناطق الزراعية	28
الفصل الثاني:علاقات الفاتحين المسلمين بالبيزنطيين قبل الفتح المنظم	31
. المبحث الأول: العلاقات على عهد عمرو بن العاص .	31
. المطلب الأول: فتح برقة .	31
. المطلب الثاني : فتح طرابلس .	33
. المبحث الثاني: العلاقات على عهد عبد الله بن أبي السرح .	34

. المطلب الأول: التحضير للحملة .	35
. المطلب الثاني: حملة عبد الله بن سعد .	37
. المبحث الثالث : العلاقات على عهد معاوية بن حديج .	42
. المطلب الأول : عودة البيزنطيين للمغرب .	42
. المطلب الثاني: غزوة معاوية بن حديج .	44
. الفصل الثالث:علاقات الفاتحين المسلمين بالبيزنطيين بعد الفتح المنظم	48
. المبحث الأول: العلاقات على عهد عقبة بن نافع .	48
. المطلب الأول: بناء قاعدة القيروان	48
. المطلب الثاني: عودة عقبة بن نافع إلى ولاية إفريقية	50
. المطلب الثالث: استكمال الفتوحات في المغرب	53
. المطلب الرابع: عقبة وموقعة تهودة	55
. المبحث الثاني: العلاقات على عهد أبي المهاجر دينار	57
. المطلب الأول: أبو المهاجر وسياسة التفاوض والصلح في المغرب	57
. المطلب الثاني : أبو المهاجر وحركة كسيلة	59
. المطلب الثالث : أبو المهاجر وحصار قرطاجة	61
. المبحث الثالث : العلاقات على عهد زهير بن قيس	62
. المطلب الأول : استرداد القيروان من يد كسيلة	62
. المطلب الثاني: المغرب بعد موقعة ممس	64
. المطلب الثالث: خروج زهير إلى القيروان	65
. المبحث الثالث : العلاقات على عهد حسان بن النعمان	67
. المطلب الأول:حسان بن النعمان في إفريقية	67
. المطلب الثاني : زحف حسان بن النعمان إلى المغرب	70
. المطلب الثالث : حسان يعاود الحملة على إفريقية	71

. المطلب الرابع : فتح قرطاجة والقضاء على البيزنطيين	74
الخاتمة	78
ملاحق	82
قائمة البيبليوغرافيا	92
فهرس الأعلام	100
فهرس الأماكن	104
فهرس المصطلحات التاريخية	107

الشكر

أولا نشكر الله عز وجل على نعمه التي لا تعد ولا تحصى مشرفا بها عباده .

واعترفا بذوي الفضل بفضلهم يسرنا أن نتقدم بالشكر إلى أستاذنا الفاضل سمير العيداني على ما بذله في سبيل إنجازنا لهذا الموضوع بتوجيهاته السديدة،فله منا العرفان والامتنان والشكر.

كما نتوجه بالشكر والتقدير إلى أساتذة كليتنا،كما لا يفوتنا أن نشكر كل من مد لنا يد العون من قريب أو بعيد في إنجاز المذكرة حتى ولو بالكلمة الطيبة وخاصة أصدقاء الدرب.

مقدمة

إن البحث في تاريخ بلاد المغرب عموما من بين الأمور الجديرة بالاهتمام فالمغرب يعد من بين الأماكن التي احتضنت مختلف الحضارات الإنسانية على مر العصور ولما عرفه أيضا من اضطرابات وثورات وحملات عسكرية وفتوحات، ومن بين هذه الحضارات التي امتد نفوذها في المغرب الحضارة البيزنطية، فمن المعروف تاريخيا أن البيزنطيين احتلوا إقليم المغرب الذي كان تحت هيمنة الوندال وحاولوا استرجاع مواقع أسلافهم الرومان، فقضوا على الوجود الوندالي.

ثم إن البيزنطيين اصطدموا بفتوحات الدولة الإسلامية، فكانت بلاد المغرب مسرحا للأحداث الدائرة بين دولة الإسلام الفتية والإمبراطورية البيزنطية في القرن 7م/1هـ ومن الطبيعي أن تنشأ في غمرة تلك الأحداث علاقات بين قادة الفتوحات الإسلامية والبيزنطيين وهو عنوان موضوع بحثنا هذا .

ويكتسي هذا الموضوع أهمية بالغة، وذلك لأنه يسلط الضوء على فترة انتقالية مرت بها بلاد المغرب بين التواجد البيزنطي والتوسع الإسلامي، وهي نهاية للعصر القديم و بداية للعصر الوسيط بالمغرب، وكذلك يكتسي الموضوع أهمية أخرى تتمثل في تركيز هذا البحث على زاوية العلاقات التي جمعت القادة الفاتحين بالبيزنطيين دون النظرة الشاملة التي توهم القارئ بأن الصراع كان بين المسلمين و البربر.

وقد دفعتنا جملة من الأسباب لاختيار هذا الموضوع فمن بينها: أن معظم المؤرخين والباحثين سواء كانوا قدامى أو محدثين يوجهون أبحاثهم إلى وجهة أحادية ملقين اهتمامهم على الفتوحات وشخصية الفاتحين، دون التركيز على ما تفرزه تلك الأحداث من علاقات بينية تنشأ عن الاتصال بالبيزنطيين، وأيضا لإزالة الغموض الذي يكتنف بعض الكتابات التاريخية التي لم تبين لنا المزيد من التوضيحات بخصوص العلاقات ، ونذكر أيضا من بين العوامل رغبتنا في الكتابات التي تخص تاريخ المغرب نظرا لكوننا ننتمي إلى هذا الإقليم الذي مسته تلك الأحداث فكان حري بنا توجيه إهتمامنا لدراسة هذا الموضوع .

وللولوج إلى مختلف جوانب الموضوع ارتأينا أن تكون إشكالية البحث كالتالي :

ـ ما طبيعة العلاقات التي قامت بين قادت الفتح الإسلامي و البيزنطيين في بلاد المغرب خلال القرن السابع ميلادي ؟

ـ ما الأوضاع التي كانت السائدة في بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي ؟

ـ كيف كانت العلاقات قبل الفتح المنظم ؟ وما التغيرات التي طرأت على العلاقات بعد الفتح المنظم ؟

للتحكم في مختلف زوايا الموضوع استندنا على المنهج التاريخي التحليلي، والذي وظفناه في تتبع الأحداث التاريخية التي نشأت عن احتكاك قادت الفتح الإسلامي و البيزنطيين وأيضا اعتمدنا على المنهج المقارن، للمقارنة بين العلاقات قبل الفتح النظم وبعده،كما إستخدمنا المهج الوصفي لوصف بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي .

ولتقصي جوانب الموضوع استقر الأمر بنا على تقسيمه وفق الخطة التالية:

تشكلت من ثلاثة فصول، الفصل الأول بعنوان:بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي والذي قسمناه إلى ثلاثة مباحث،المبحث الأول كان بعنوان: تعيين بلاد المغرب وحدودها وأقسامها،وهذا المبحث ضم ثلاثة مطالب،المطلب الأول تحدثنا فيه عن تطور تسميات بلاد المغرب،والمطلب الثاني تطرقنا إلى حدود بلاد المغرب، بنسبة للمطلب الثالث تناولنا فيه أقسام بلاد المغرب، أما بخصوص المبحث الثاني فقد جاء عنوانه: الأوضاع العامة في بلاد المغرب والذي شكل من أربع مطالب، ففي المطلب الأول تكلمنا عن الأوضاع السياسية وفي المطلب الثاني عالجنا الجانب الإقتصادي أما المطلب الثالث درسنا المجتمع المغربي والمطلب الرابع وضحنا الوضع الديني، أما المبحث الثالث كان عنوانه: مناطق نفوذ البيزنطيين، وقد تكون هذا المبحث من ثلاثة مطالب، المطلب الأول تناولنا فيه المناطق المدنية،بالنسبة للمطلب الثاني تكلمنا عن المناطق والتحصينات العسكرية،والمطلب الثالث تحدثنا عن المناطق الزراعية.

وقد عنونا الفصل الثاني بالعلاقات قبيل الفتح المنظم وقسمناه الى ثلاثة مباحث المبحث الأول عنوناه العلاقات على عهد عمرو بن العاص، وندرج تحته مطلبان المطلب الأول عالجنا فيه فتح برقة، والمطلب الثاني عرجنا فيه على فتح طرابلس، وعن المبحث الثاني جاء عنوانه العلاقات على عهد عبد الله بن أبي سرح وضم مطلبين الأول درسنا فيه التحضير للحملة و المطلب الثاني تحدثنا عن حملة عبد الله بن أبي سرح، و المبحث الثالث وسم بالعلاقات على عهد معوية بن حديج الذي إحتوى على مطلبين المطلب الأول تحدثنا عن عودة البيزنطيين إلى المغرب، في المطلب الثاني تناولنا غزوة معوية بن حديج .

وأتى الفصل الثالث بعنوان العلاقات بعد الفتح المنظم،وفصلناه إلى أربع مباحث المبحث الأول عنوناه العلاقات على عهد عقبة بن نافع الفهري، وجاء تحته أربع مطالب المطلب الأول تطرقنا إلى بناء القيروان، وعرجنا في المطلب الثاني إلى عودة عقبة بن نافع إلى القيروان،وبالنسبة للمطلب الثالث وضحنا فيه استكمال الفتوحات في المغرب،وبخصوص المطلب الرابع تكلمنا عن عقبة وموقعة تهودة، والمبحث الثاني جاء عنوانه العلاقات على عهد أبي المهاجر دينار ،مؤسس على ثلاثة مطالب المطلب الأول سلطنا الضوء فيه على سياسة التفاوض والصلح لأبي المهاجر في المغرب، والمطلب الثاني تتبعنا فيه أبي المهاجر وحركة كسيلة، ثم المطلب الثالث أدرجنا فيه أبوا المهاجر وحصار قرطاجة،وعنونا المبحث الثالث بالعلاقات على عهد زهير بن قيس البلوي المكون من ثلاث مطالب، المطلب الأول تقصينا استرداد القيروان من يد كسيلة أما المطلب الثاني وصفنا المغرب بعد موقعة ممس، وفي المطلب الثالث بينا فيه خروج زهير من القيروان إلى برقة والمبحث الرابع عنوانه العلاقات على عهد حسان بن النعمان،الذي حوى أربع مطالب المطلب الأول ذكرنا فيه حسان بن النعمان في ولاية إفريقيا والمطلب الثاني تتبعنا فيه زحف حسان بن النعمان إلى المغرب، أما المطلب الثالث بينا فيه حسان

بن النعمان يعاود الحملة على إفريقيا،وبنسبة للمطلب الرابع ذكرنا فيه فتح قرطاجة والقضاء على البيزنطيين .

وللإلمام بجوانب هذا الموضوع ارتكزنا في دراسته على جملة من المصادر والمراجع،من بين المصادر نذكر كتب التاريخ منها: كتاب عبد الرحمان بن عبد الحكم بعنوان فتوح مصر والمغرب وعز الدين ابن الأثير في كتابه المعنون بالكامل في التاريخ ، وكذلك أحمد النويري في كتابه المعنون بنهاية الأرب في فنون الأدب، وأيضا إبن عذارى في كتابه المعنون بالبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، حيث أفادونا في تتبع سير حملات قادة الفتح الإسلامي التي من خلالها تمكنا من تسليط الضوء على العلاقات وخاصة في الفصلين الثاني والثالث .

ونذكر من بين ما ستعملنا في بحثنا كتب التراجم ونخص بالذكر منها: كتاب عبد الله المالكي المعنون برياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، وأيضا كتاب شمس الدين الذهبي بعنوان تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حيث استفدنا منهما في التزود بمعلومات تخص شخصيات ذكرت في الموضوع .

واستعملنا كتب الجغرافي نذكر منها كتاب إبراهيم الإصطخري بعنوان مسالك الممالك،وكتاب محمد الحميري بعنوان الروض المعطار في خبر الأقطار، اللذان إست خدمناهما في وصف بلاد المغرب ومدنه وكان ذلك في الفصل الأول .

أما عن الدراسات الحديثة نذكر منها كتاب حسين مؤنس بعنوان فتح العرب للمغرب،وعبد العزيز سالم في كتابه المعنون بالمغرب الكبير، وأيضا محمد الهادي حارش في كتابه بعنوان التاريخ المغاربي القديم،وكذلك السيد الباز العريني في كتابه المعنون الدولة البيزنطية، ومحمد ربيع عنوان كتابه دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، أفادتنا في

تنويرنا بمختلف التحليلات والتأويلات أي أتاحت لنا فرصة تعميق البحث وإثرائه بالمناقشات والملاحظات خاصة في الأمور المختلف فيها .

وأهم ما يمكن قوله عن جملة هذه المصادر أن معظمها تكلم عن الفتوحات والحروب ومجرياتها ولكنهم أغفلوا التفصيل في جانب علاقات الصلح والمعاهدات وشروطها وبنودها بين قادة الفتح والطرف البيزنطي، ونفس الشيء بالنسبة للدراسات الحديثة أي أنها لم تسلط الضوء على جانب العلاقات بالتفصيل الكافي لها .

غير أننا نجد جملت الدراسات التي اهتمت بتناول التاريخ البيزنطي مرت مرور الكرام على الأحداث التاريخية الواقعة في بلاد المغرب، ولم تفصل فيها،على العكس من ذلك بما يتعلق بجانب علاقات الدولة البيزنطية في المشرق، التي نالت قسطا كبيرا من الإهتمام والدراسة والحث والتفصيل .

وصادفتنا صعوبات خلال إنجازنا لهذا البحث، تمثلت في عدم من استفادتنا من الكتب الأجنبية التي لها صلة بموضوعنا، ويعود ذلك لعدم تمكننا من إتقان اللغات الأجنبية .

الفصل الأول:بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي

المبحث الأول:تعيين بلاد المغرب وحدودها وأقسامها

المطلب الأول:تطور تسميات بلاد الغرب

المطلب الثاني:حدود بلاد المغرب

المطلب الثالث:أقسام بلاد المغرب

المبحث الثاني: الأوضاع العامة في بلاد الغرب

المطلب الأول : الأوضاع السياسية

المطلب الثاني :الجتمع

المطلب الثالث :الجانب الإقتصادي

المطلب الرابع :الوضع الديني

المبحث الثالث:مناطق نفوذ البيزنطيين

المطلب الأول :المناطق المدنية

المطلب الثاني:المناطق والتحصينات العسكرية

المطلب الثالث:المناطق الزراعية

تعد بلاد المغرب من بين الأقاليم التي شهدت الكثير من الأحداث قبيل الفتح الإسلامي، بحيث خضعت لسيطرة العديد من الإحتلالات،وتأثرت وأثرت بحضاراتها،ولدراسة هذا الفصل،استقر رأينا أن نقسمه إلى أربعة مباحث رئيسية،كالتالي:

المبحث الأول:ضبط المصطلح بلاد المغرب ،حدودها وأقسامها:من المتعارف عليه ، أنهلا يمكن لأي باحث في التاريخ، أن يدخل مباشرة في موضوع بحثه، من دون التعرض للمكان الذي كان مسرحا للأحداث،والعلاقات التي نشأتفي غمرة الصراع لذلك يجب علينا تعيين بلاد المغرب والتعرض لتسمياتها وحدودها وأقسامها.

المطلب الأول : تطور تسميات بلاد المغرب: تعتبر بلاد المغرب من بين الأقطار التي أحدثت الكثير من الجدل والاختلاف، بين المؤرخين والجغرافيين، ولم يستقر رأيهم على تسمية أو لفظ موحد لهذه البلاد،إذ حملت تسميات عديدة ومختلفة بمرور الزمان،فسميت مثلا "ليبيا"

فقد كان قدماء اليونان وعلى حد ما ذكره "جوليان"،يسمون القسم الشمالي منها الذي كان يسكنه العنصر الأبيض باسم "ليبو" أو" ليبيا" لتمييزه عن الصحراء بلاد العنصر الأسود[1]، أما المؤرخ مارمول كاربخال، يقول: «**أن هذه المنطقة من القارة الإفريقية،تسمى قديما نوميديا وذاع صيتها عبر التاريخ.**»[2].

وفي هذا الشأن أيضا نجد المؤرخ "غوتيه"،يذكر لنا أن بلاد المغرب كانت تسمى بإفريقيا، وكان هذا الاسم يطلق على قرطاجة ومناطق نفوذها، بينما المقاطعات الأخرىفهي "نوميديا" ثم موريتانيا.[3]

ثم شاع لفظ إفريقية في العصر البيزنطي ، فكانت إفريقيا البيزنطية، تشمل كل الأقاليم من برقة إلى طنجة.[4]

وقد أخذ العرب والمسلمون لفظ إفريقية عن البيزنطيين،ويظهرلنا ذلك عند "ابن عبد الحكم"،لما قام "عمرو بن العاص" بمكاتبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بقوله :

1- شارل أندري جوليان،تاريخ إفريقيا الشمالية ،تر،محمدمزالي،البشير بن سلامة،مؤسسة توالت الثقافية،ج:1،توالت ط:2 ،2011 ، ص07.

2- مارمولكربخال، إفريقيا،ج3 ،تر: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة،الرباط، د:ط ،1989، ص137 .

3 - إميل فليكس غوتيه،ماضي شمال إفريقيا،تر:هاشمالحسيني،مؤسسة توالت الثقافية،توالت،د:ط،2010،ص66.

4- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب،مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية، د:ط،د:ت،ص 02.

«إن الله قد فتح علينا طرابلس،وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام،فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل.».

فكتب إليه "عمر":« **لا ،إنها ليست بإفريقية،ولكنهاالمفرقة،غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت.**»[1]،أما عند "البلاذري(ت279)"* فقد قال:« **لما صالح عبد الله بن سعد بطريق إفريقية رجع إلى مصر ولم يول على إفريقية أحدا.**»[2]

مما تقدم ذكره نلاحظ أن تسمية إفريقية عند المؤرخين العرب تطلق على كل الأقاليم التي تلي مصر غربا مستثنين من ذلك برقة (انطابلس)، وطرابلس .

أما عند الجغرافيين فنجد أن" ياقوت الحموي"**، يذكر أن بلاد إفريقية، فرقت بين مصر والمغرب.[3]

في حين يرى الحميري أن إفريقية عمل كبير في غرب مصر ،وامتداد طولها من" برقة" في الشرق إلى" طنجة" ناحية الغرب،أما عرضها فهو من البحر إلى الشرق[4]،فهو يركز على الشريط الساحلي، من "برقة" إلى "البحر المحيط"،أما"الزهري" فيذكر أن إفريقية تمتد من جبال برقة إلى "جبال نفوسة" و"جبال وانشريس".[5]

أما عن مصطلح "المغرب"،فقد ظهر بعد أن أخذ لفظ "إفريقية "يتقلص تدريجيا،وأضحى يطلق فقط على الأمصار المحيطة "بالقيروان"* .

1- عبد الرحمان بن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب،،تحقيق:عبد المنعم عامر،ج:1، شركة الأمل للطباعة والنشر،القاهرة، د:ط،2001، ص 232.

*- البلاذري :"هو أبو الحسن أحمد بن يحي البغدادي البلاذري من مؤلفاته كتاب القرابة وتاريخ الأشراف توفي سنة 279هـ.(انظر: محمد فريد وجدي،دائرة معارف القرن العشرين،المجلد الثاني،دار الفكر،بيروت،د:ط،د:ت،ص328.)

2- أحمد البلاذري،فتوح البلدان،تحقيق:عبدالله أنيس الطباع،مؤسسة المعارف،بيروت،د:ط،1987،ص،ص،318 ، 319.

**- ياقوت الحموي:ولد سنة 574 هـ/1178م ،مؤرخ وجغرافي عربي رومي الأصل،منآثاره،معجم البلدان ومعجم الأدباء توفي سنة 626هـ/1229م(انظر: منير البعلبكي، معجم أعلام المورد،دار العلم للملايين،بيروت،ط:1، 1992،ص503 .)

3- ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج1 ، دار صادر،بيروت ، د:ط ،1977، ص228 .

4- محمد الحميري، الروض المعطار ،تحقيق:إحسان عباس،مكتبة لبنان،بيروت،ط:2، 1984، ص47 .

5- محمد الزهري،الجعرافية، تحقيق :محمد حاج صادق،مكتبة الثقافة الدينية ،بور سعيد،د:ط،د:ت، ص 10.

*- القيروان: وتعني القافلة أو المعسكر، وموضع الناس والجيش أو محط أثقال الجيش وهذا اللفظ تكلمت به العرب قديما لقول امرئ القيس: ـ وغارة ذات قيروان *** كأن أسرابها الرعال وهو اسم لمدينة عظيمة بإفريقية ،مصرت

ويبدو أن المقصود بلفظ المغرب في أولالأمر كان تحديدا جغرافيا لجهة من الجهات،فكما نقول المشرق يقابله المغرب،وعليه نجد تفسيرا لفئة من المؤرخين والجغرافيين،عندما يضمون إقليم "الإسكندرية" إلى بلاد المغرب[1]، ونرى ذلك باديا عند البلاذري حيث ذكر قائلا:« **لم تفتح قرية من المغرب على صلح إلا ثلاثا،الإسكندرية،كفرطيسوسلطيس** **»[2].

ونجد أن "ابن خرداذبة"***(ت280هـ)،حين تقسيمه لمختلف الممالك،أورد في الباب السادس مملكة الإسلام وأعمالها وارتفاعها ، إذ يقول:« **فإن مصر ونحن نعدها من أعمال المغرب، فهي تعد مشرقا لمن هو بالأندلس** .»[3]،والأمر كذلك بالنسبة لسائر النواحي، أما "المقدسي" فيفرق بين الغرب والمغرب، فيضم الشام ومصر إذا تكلم عن الغرب، بينما يقصد بالمغرب الإقليم الذي يبدأ من حد مصر من كورة برقة إلى "السوس" الأقصى ويضم إليه "الأندلس". ومجموعة الجزر في الحوض الغربي من "بحر الروم."[4]

وهذا ما يؤكده القلقشندي(821هـ)* بقوله:« **المغرب سميت بذلك لغروب الشمس فيها ويقال لها الغرب أيضا.**»[1]

على عهد معاوية بن أبي سفيان،أسسها عقبة بن نافع الفهري وتم بناؤها سنة55 هـ.(انظر: ابن منظور،لسانالعرب،دارالمعارف،القاهرة ،د:ط،د:ت،ص3793)وكذلك انظر:(محمود شاكر،موسوعة الفتوحات الإسلامية،ط:1،دارأسامة،عمان،2002 ، ص133 .) وفي ذلك انظر:(ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج4 ، ص420، 421.)

1-حسين مؤنس،فتح العرب للمغرب،ص02.

**- من القرى القديمة في مصر أعانوا ضد عمرو بن العاص فسباهم،وردهم عمر بن الخطاب إلى القرية (انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق ،ج3 ، ص236 .)

3- أحمد البلاذري ، فتوح البلدان، ص 236 .

***- ابن خرداذبة:عبيد الله بن أحمد بن خرداذبة،ولد سنة 205هـ/820 م،جغرافي ومؤرخ عربي من بغداد،من أشهر كتبه المسالك والممالك، توفي سنة 280 هـ/893 م.(انظر: منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، ص22 .)

4 - عبيد الله بن خرداذبة،المسالك والممالك،مطبعةبريل،ليدنالمحروسة،د:ط، 1889،ص 234 .

4- شمس الدين المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،مطبعبريل،ليدن المحروسة ،ط:2،1906، ص،ص 7 ،215 ،216.بتصرف.

*- القلقشندي:أبو العباس أحمد القلقشندي،ولد سنة 756هـ،في قلقشندةبمصر،أتم دراسته في الإسكندرية،منمؤلفاته،صبحالأعشى،قلائدالجمان،مآثرالخلافة،توفي سنة 821 هـ/1418 م.(انظر: شاكر مصطفى،التاريخ العربي والمؤرخون ، دار العلم للملايين،بيروت،ط1، 1990، ص،ص 133، 134 ، 136-بتصرف-.)

وعليه نقول وبصفة عامة أن لفظ المغرب كان يقصد به كل الأمصار الإسلامية المفتوحة التي تلي مصر غربا،وعلى هذا المنحى يمكن القول أن "الإسكندرية" تعد المعلم الفاصل بين المغرب والمشرق،ولهذا عرفت باسم (باب المغرب)[2].

وذلك ما أجمع عليه المؤرخون والجغرافيون العرب وبصفة إجمالية،هو إطلاق تسمية المغرب على جملة الأراضي الممتدة من غربي مصر إلى سواحل البحر المحيط.

المطلب الثاني: حدود بلاد المغرب:ذكرنا سابقا أن بلاد المغرب يقصد بها كل الأقاليم التي تلي الحدود الغربية لمصر،لكن هذه الحدود أثارت أيضا الاختلاف بين المؤرخين والجغرافيين.

إذ نجد أن"الإصطخري"[**](ت346هـ)، يحدد لنا بلاد المغرب من جميع جهاتها،فهو يجعل الحدود الشرقية هي حد مصر وتبدأ من منطقة الإسكندرية و برقة،وتنزل إلى ظهر الواحات في بريه تنتهي إلى أرض النوبة،أما الحدود الغربية فتتمثل في "البحرالمحيط"[***]ممتدا على حدودها،أما الحدود الشمالية فيحدها "بحر الروم" وتبدأ من البحر المحيط ممتدة على سواحل بحر الروم إلى أن تصل إلى "مصر"،أما الحدود الجنوبية فهي رمال الصحراء وتبدأ من البحر المحيط وتمتد إلى"سجلماسة" ،ثم إلى "زويلة"،وبعدها تتصل بظهر الواحات من أرض مصر جنوبا.[3]

في حين نجد ابن عذاري(ت ق 7هـ) يرى أن الحدود الشرقية لبلاد المغرب تبدأ من ضفة النيل بالإسكندرية إلى آخر بلاد المغرب وحده مدينة "سلا"[4].

ويذكر ابن عذاري الشريط الساحلي الشمالي بمحاذاة البحر، ولم يذكر الحدود الجنوبية الشرقية باتجاه الصحراء ، كما لم يحدد لنا الحدود الجنوبية الغربية أيضا.

1- أحمد القلقشندي، صبح الأعشى،ج3،المطبعة الأميرية،القاهرة،د:ط، 1914 ، ص 228 .

2- مختار العبادي، في تاريخ والأندلس، دارالنهضة العربية، بيروت، دط ، دت، ص10 .

**- الإصطخري:أبو إسحاق إبراهيم بن محمد جغرافي ورحالة عربي منسوب إلى إصطخر في إيران له كتاب ،صور القاليم ،وكتاب مسالك الممالك،توفي سنة 346 هـ/957م،انظر:(منير البعلبكي: المرجع السابق، ص 57.)

***- البحر المحيط:سمي البحر المحيط لأن السفن لا تجري فيه،ولا يعلم أحد حاله.(انظر: عبيد الله ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص231).

1 - إبراهيم الإصطخري، مسالك الممالك، مطبع بريل ،ليدن المحروسة، د:ط ، 1870،ص،ص 36، 37.

2 - أحمد بن عذاري،البيانالمغرب،تحقيق:ج س كولان،إ ليفي بروفنسال،ج:1،دار الثقافة،بيروت،ط:3، 1983،ص5

وهذا الرأي كذلك نجده عند ابن أبي دينار،فهو يذهب في نفس الاتجاه بقوله :

« **حدود المغرب من سيب بحر النيل*** **بالمشرق،إلى ساحل البحر المحيط من ناحية المغرب**.»[1]، وأما الزهري فيعين الحدود الشرقية لبلاد المغرب،من جبال برقة وجبال أوثان في المشرق من آخر عمل مصر أما حدوده الغربية فهي تمتد إلى أقصى "السوس"[2]

أما صاحب المعجم، فيذكر أن المغرب هو ضد المشرق وهي بلاد واسعة ،حدها من ملیانة،وهي آخر حدود إفريقية إلى آخر جبال السوس يأتي خلفها البحر المحيط ونجده يضم الأندلس ضمن بلاد المغرب[3]. بينما المنطقة الواقعة بين برقة والإسكندرية إلى حد ملیانة فهي إفريقية ،ولكن نجده يقول أيضا:« **أن بلاد إفريقية وما وراءها سميت ببلاد المغرب**».[4]

من خلال ما سبق ذكره،نستطيع القول أن حدود بلاد المغرب من الشرق تبدأ من غربي مصر طولا أي من الإسكندرية وتنزل إلى أرض النوبة،أما حدودها غربا فهو البحر المحيط طولا من الأعلى من منطقة طنجة على الساحل نزولا إلى رمال الصحراء إلى سجلماسة ،أما الحدود الجنوبية فهي رمال الصحراء من ساحل البحر المحيط،ممتدا إلى سجلماسة إلى غاية أرض النوبة،أما حدود بلاد المغرب الشمالية فتتمثل في سواحل بحر الروم ممتدة من الإسكندرية إلى طنجة على البحر المحيط .

*- سيب بحر النيل:سيب جمعها سيوب أي مجرى الماء.(انظر: ابن منظور،لسانالعرب،ص 2166).

1- محمد بن أبي دينار،المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،مطبعة الدولة التونسية،ط:1، 1286هـ، ص 16.

2- محمد الزهري،الجعرافية ، ص 106.

3- ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج:5،ص61.

4- ياقوت الحموي،المصدر نفسه،ج1،ص 228.

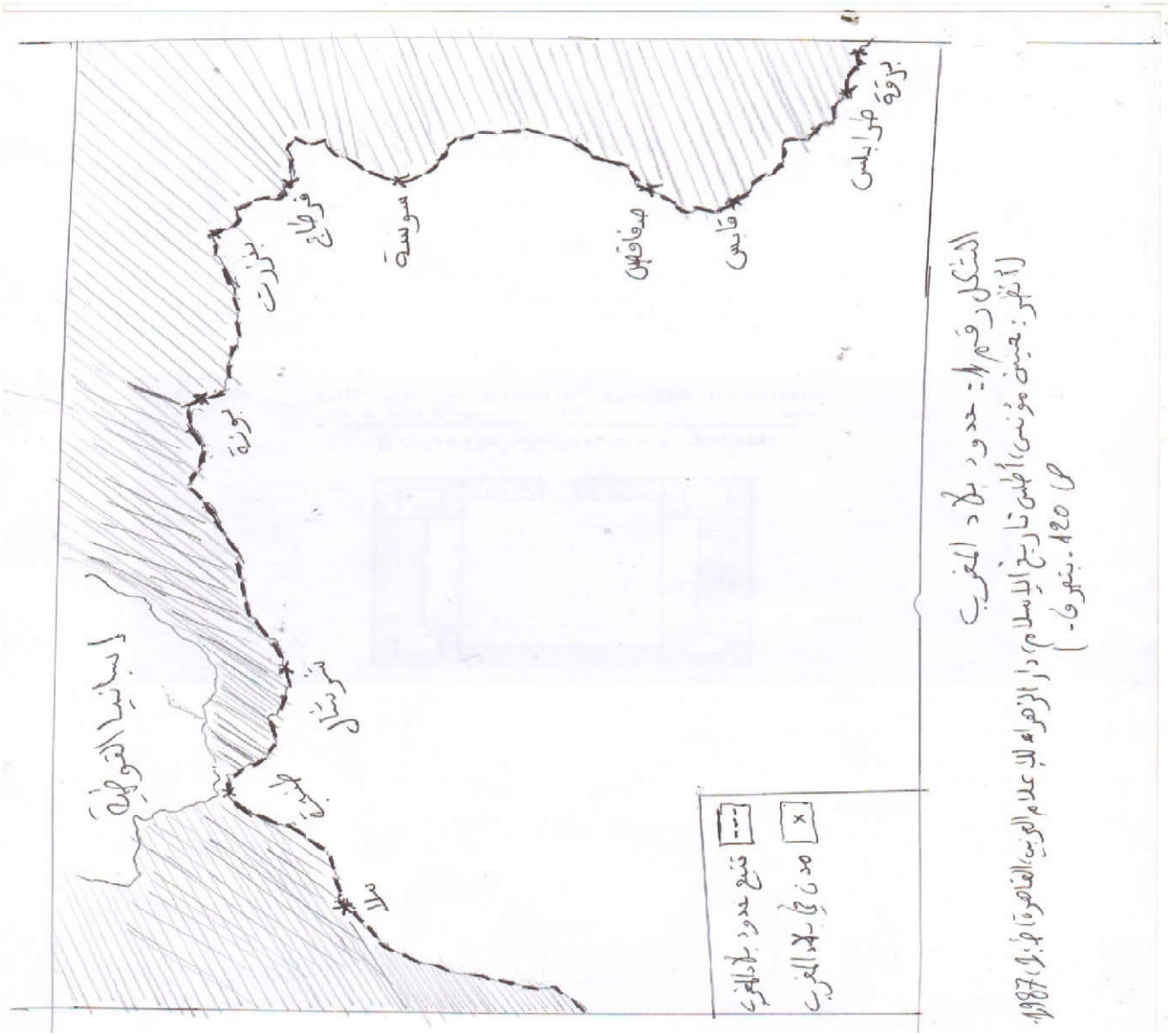

الشكل رقم 1: حدود بلاد المغرب

(أنظر: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط 3، 1987، ص 125. بتصرف.)

المطلب الثالث:الأقسام بلاد المغرب:يتجه بعض الجغرافيين إلى تقسيم بلاد المغرب إلمناطق مختلفة،فنجد الزهري، يقسم بلاد المغرب إلى ثلاثة مناطق هي:

إفريقية والمغرب الأقصى والسوس الأقصى،فالصقع الأول إفريقية فحده يبدأ من جبال برقة إلى جبال نفوسةوجبال الونشريس*،أما الصقع الثاني المغرب الأقصى،حده من الشرق جبالالونشريس ومن الغرب البحر الأعظم،أما الصقع الثالث فهو السوس الأقصى،المحدود بالبحر المحيط غربا ويحده من شرقه وجنوبه الصحراء ومن الشمال الجبل الأعظم وهي "جبال درن"**[1]

أما "ابن عذاري" فيقسم المغرب أقساما عديدة،قسم من الإسكندرية إلى طرابلس وهو أكبرها،وقسم يضم طرابلس وتسمى "بلاد الجريد" و"بلاد الزاب الأعلى" ويلي هذا القسم بلاد "الزاب الأسفل"،وحدها إلى مدينة "تيهرت" ويليه القسم الذي يضم "طنجة" ويسمى ببلاد المغرب وحده مدينة "سلا"***، وقسم يضم بلاد السوس الأدنى،وقسم يضم بلاد السوس الأقصى ،ويدخل بلاد الأندلس ضمن بلاد المغرب.[2]

أما عن التقسيم المغرب الذي حدث في العصر البيزنطي ، فتم تقسيم منطقة المغرب إلى أقاليم عديدة، من طرف الإدارة البيزنطية ،فقد قام جوستنيان *justinian(ت565م)

---

*- جبال الونشريس: جبال الونشريس تسكنها قبائل البربر، ينتهي طرفه إلى قرب تاهرت(انظر: محمد الحميري،الروض
المعطار،ص600.)

**-جبل دردن:جبلبالمغرب،مبدؤه من البحر المحيط،ويتصل بجبال نفوسة في الشرق وهو فاصل بين الصحراء والساحل.(أنظر:محمدالحميري،الروض المعطار،ص،ص234،235.)

1- محمد الزهري ، المصدر السابق ، ص،ص 106 ، 117_بتصرف_

***- سلا: مدينة أزلية قديمة ،تقع على ساحل المحيط ،يرجع بناؤها إلى حوالي 1500 ق م،أنشأ بهاالقرطاجيون متجرا ،تضاءلت أهميتها وتقلص نشاطها في عهد الوندال،واستعادت حيويتها وازدهارها في العصر البيزنطي.(انظر: حمدي عبد المنعم محمد حسين،مدينة سلا في العصر الإسلامي،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،د:ط،1993، ص 3 .)

2- أحمد بن عذاري ، المصدر السابق، ج:1 ، ص،ص 5، 6 .

*- جوستينيان:كان من أعظم الأباطرة الذين حكموا بيزنطة،نظرا لفتوحاته وعظمة مشروعاته،اشتهر بالإمبراطور الذي لاينام،نشأ نشأة ريفية،تولى عرش الإمبراطورية وعمره 45 عاما بعد وفاة جستين الأول سنة 527م دام حكمه إلى غاية وفاته سنة 565م،وقد بلغ من العمر 83عاما.(انظر: محمد محمد مرسي الشيخ،تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،د:ط،1994، ص،ص41 ،42 ، 65.).

بجهود كبيرة من أجل النهوض بهذه الولاية الإفريقية ،فأصدر مخططا لإعادة تقسيم هذه الولاية ،فقد جعلها ولاية مستقلة مثل باقي الولايات الكبرى ،فنصب عليها حاكما مدنيا يشرف على ولاة الأقاليم السبعة منها ثلاث قنصليات هي قنصلية زوجاتانيا ومركزها قرطاجنة وقنصلية بيزاسين وقنصلية طرابلس ، ثم أربع مديريات هي مديرية نوميديا و مديرية موريتانيا الأولى و مديرية موريتانيا الثانية وتضم موريتانيا الطنجية ومديرية سردانيا** [1]

أما "محمد الهادي حارش" فيذكر أن البلاد مقسمة إلى سبعة أقسام إدارية،منها ثلاثة أقسام يحكمها قناصل وهي:-البروقنصلية، -المزاق***، - طرابلس****.
وأربع مقاطعات يحكمها رؤساء ، وهي : . نوميديا . موريتانيا الأولى(السطايفية) موريتانيا الثانية (القيصرية) . سردانيا.[2](انظر الملحق رقم5)

من خلال ما سبق فقد تم إعادة تقسيم البلاد إلى سبعة مناطق رئيسية،وهي : المنطقة الشمالية (زوجيتان) وتشمل المناطق المحيطة بقرطاجنة . المنطقة الجنوبية (بيزاسان) وتشمل جنوب هذه المناطق . نوميديا . القيصرية الشمالية (موريتانيا) . القيصرية الغربية(موريتانيا الثانية) . موريتانيا الطنجية (طنجيتان) . سردينيا.[3]

**- سردانيا: جزيرة كثيرة الجبال ، سميت سردانيا باسم ساردوس بن هرقل.(انظر: محمد الحميري، المصدر السابق، ص 314.)

1- عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير،مج:2 ،دار النهضة العربية، بيروت،د:ط،1981، ص،ص79 ،80.

***- المزاق : اسم فحص القيروان ، وقيل إنما سمي بذلك لكثرة الرياح التي تمزق السحاب ، فيتصل الصحو ، وتقل الأمطار.(انظر: محمد الحميري ،المصدر السابق ، ص 542.)

****- طرابلس :من مدن إفريقية وهي مدينة كبيرة أزلية ،على ساحل البحر،وطرابلس بالرومية والإغريقية ثلاث مدن،وسماها اليونانيون طرابليطة ، فلفظ طرا معناه ثلاث ولفظ بليطة معناه مدينة ، وعلى مدينة طرابلس سور صخر جليل البنيان. (انظر:محمد الحميري،المصدرنفسه،ص 389.) وانظر ذلك في: ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج:4، ص 25.)

2- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم ،المؤسسة الجزائرية للطباعة ،الجزائر،د:ط،د:ت ،ص289 .

3- حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص15.

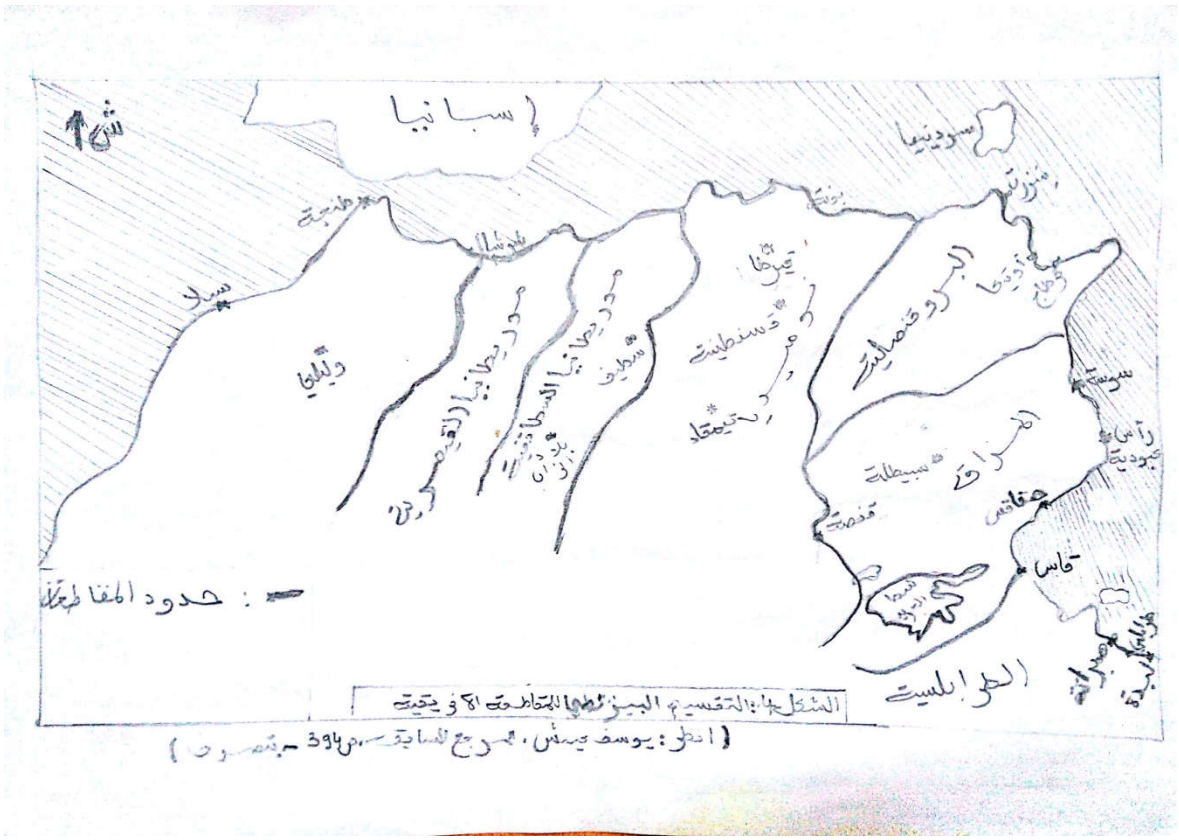

الشكل رقم 1: خريطة تقسيم البربر لنواحي المغرب الأوسط

(انظر: يوسف جيدوس، المرجع السابق، ص394 - بتصرف)

والظاهر أن هذا التقسيم الإداري ، تم إنشاؤه بناء على التقسيم الروماني قديما ، مع استحداث مناطق جديدة لتحقيق مراقبة وحماية أفضل لهذه الولاية الإفريقية[1]، وقد كانت البلاد في العهد الروماني مقسمة إلى الأقاليم الرئيسية التالية وهي:

. إقليم البروقنصلية. إقليم المزاق . إقليم طرابلس . إقليم نوميديا

. إقليم موريتانيا[2]

المبحث الثاني: الأوضاع العامة في بلاد المغرب:

تردت الأوضاع العامة في بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي،ومست جميع الجوانب والمجالات،وقد قسمنا هذا المبحث إلى أربعة مطالب،تطرقنا في المطلب الأول إلى الأوضاع السياسية،ثم في المطلب الثاني إلى حالة المجتمع آنذاك، وفي المطلب الثالث تعرضنا إلى الجانب الاقتصادي ،وتناولنا في المطلب الأخير الوضع الديني .

المطلب الأول: الأوضاع السياسية:

لقد كانت الأوضاع السياسية في بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي ، تسودها الاضطرابات، والثورات، والاغتيالات، فقد دب الفساد وانتشر الظلم وساد،وتبين للأباطرة البيزنطيين،أن نظام الحكم الذي أرساه"جوستينيان" لم يعد يتماشى مع الأوضاع ، التي تمر بها إفريقية ، لذلك عمد "الإمبراطور موريس"،إلى إعطاء هذه الولاية نظاما عسكريا،يختلف عن نظام جوستنيان،وتبعا لذلك فقد تم تعيين "البطريق هرقل"،حيث أضحى هذا الحاكم العسكري يشرف على كافة مرافق إفريقية، ويتدخل في جميع شؤونها،واستعان في ذلك بأخيه "البطريق جريجوريوس".

قام هرقل بتدبير عملية الانفصال عن الإمبراطورية البيزنطية،بعد وفاة "موريس"،وبدأ يحضر للثورة ضد الإمبراطور الجديد "فوكاس"،ففوض لهذه المهمة ابنه "هرقل"،الذي جهز الحملة على القسطنطينية،فعمت الاضطرابات،في أرجاء الإمبراطورية وكان لذلك صداه على إفريقية،فسانده عامة الناس،وتجندت قبائل المور في هذه الحملة

2- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم،ص،ص197 ،198.

3- محمد محي الدين المشرفي، إفريقيا الشمالية في العصر القديم ،دار الكتب العربية،بيروت،ط:4،1969، ص،ص 148، 150.

البحرية،فتم إسقاط عرش "فوكاس"* [1] واستعادت إفريقية هدوءها،بفعل السياسة التي انتهجها هرقل الذي منح قدرا أكبر من الحرية للمغاربة.

لكن الأمور أخذت طريقا آخر لما قام قساوسة البعثات من روما لنشر "المسيحية" بين البربر،وتثبيت نفوذ السلطة البابوية لروما على حساب الحكم البيزنطي على الأراضي المغربية.[2]

وأصبح هؤلاء القساوسة،يقومون مقام الحكام البيزنطيين،وشيئا فشيئا تفاقم نفوذهم في البلاد،وأضحى لبابا روما سلطة موازية في أرخونية إفريقية،لقطع الطريق أمام الكنيسة الشرقية[3]،وانجر عن كل ذلك انشقاق الكثير من الأساقفة،عن مذهب الدولةوانتهى الأمر إلى قيام صراع كبير بينهم ، وثار الأهالي على الإمبراطور، بسبب هذا المذهب[4]وهو المذهب الجديد ، الذي ابتدعه الإمبراطور "هرقل"**، وأصدره المجلس الديني سنة 631م،وأنكره أهل إفريقية .

ونهض الراهب والأسقف "مكسيموس"*** يحرض أهل إفريقية،علىالمعارضةوالثورةعلى الإمبراطور،ووقفت الكنيسة الغربية إلى جانب هذا الراهب، وسانده في ذلك البطريق "جريجوريوس"[5].

ولما تولى أمر الإمبراطورية قنسطانز الثاني، سنة 641 م، حاول فرض مذهب هرقل من جديد،ولم يدخرمكسيموس جهدا في مع سكان المغرب،فقددفعهم إلى محاربة

---

*- فوكاس :(602- 610م)،خلف موريس في حكم الإمبراطورية اشتهر بالطغيان والإرهاب،انتشرت في عهدته الفوضى والحروب الأهلية،تم إعدامه بعد اجتياح الإمبراطورية بعد ثورة هرقل،وبذلك سقطت أسرة جوستينيان من الحكم.(انظر: محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ،ص،ص 66 ،68 ،69.)

1- حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص، 32، 36._بتصرف_.

2- عثمان سعدي ، الجزائر في التاريخ،دارالأمة،الجزائر، د:ط،2012، ص 177.

3- حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، المرجع السابق ، ص 38.

4- عبد العزيز سالم ، المرجع السابق، ص 76.

**- هرقل(641/575م)،إمبراطور بيزنطي امتدت عهدته بين سنتي610 و641م،قاتل الفرس وهزمهم،وأعاد خشبة الصليب إلى بيت المقدس،عام630م،كان أول من تبنى المونوثيليتية،هزمه العرب في معركة اليرموك،عام 636 م (انظر:منير البعلبكي، المرجع السابق، ص 472.).

***- مكسيموس: من مواليد القسطنطينية، سنة 580م، وتربى فيها تربية دينية ودخل الدير وترهب سنة 628 م ، وذاع صيته في مسائل الدين والفقه.(انظر: حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 46).

5- حسين مؤنس ، المرجع نفسه، ص،ص 43 ، 46._بتصرف_

الإمبراطور،وعندها أصبحت الأمور سانحة للبطريقجريجوريوس، الذي تقاطر حوله الناس ، وحضي بشعبية كبيرة.[1]

وفي سنة 646م،جاهرجريجوريوس معلنا حركته الانفصالية،عن الإمبراطورية وقد أيده في ذلك ، أهل "برقة"و"طرابلس"، وأخذ لنفسه اسم الإمبراطور ،ووافقه الشعب في ذلك ، وضرب العملة باسمه ، ثم غادر قرطاجنة ، واستقر في سبيطلة .

المطلب الثاني: الجانب الاقتصادي:

اشتهرت الأراضي المغربية منذ القديم بأنها أراضي زراعية بالدرجة الأولى،وكانت"روما" قديما تعتمد عليها في تموين سكانها بهذه المنتجات ولم يمض زمن طويل حتى صارت إفريقية مطمورة للرومان تمولها بمختلف المحاصيل الزراعية على اختلاف أنواعها بالإضافة إلى كثرة البساتين[2]،وإنتاج أنواع الفواكه وانتشار المراعي وتربية الأنعام،وازدهار التجارة[3]،وظلت على تلك الحال إلى غاية الفتح الإسلامي،فمنطقة برقة مثلا كثيرة المراعي والغنم والفواكه[4]،

أما طرابلس التي تتبع إفريقية بها أسواق وبساتين في شرقها وتتميز بكثرة فواكهها ،أما "قابس"* بها بساتين ومزارع وهي كثيرة الثمار والموز وشجر التوت وتنتج الحرير ،بالإضافة إلى إنتاج اللحوم الحوت ولحم الغزال[5]،أما "سفاقس" فجل غلاتها الزيتون والزيت[6]،وفي جالولاء البساتين والأشجار الكثيرة والثمار والأزهار وانتاجالعسل،أما مدينة سوسة فقد اشتهرت بجودة لحومها لطيب مراعيها وتميزت قرطاجنة بكثرة مياهها والقناة

1- عبد العزيز سالم، المرجع السابق ، ص،ص 76 ، 77.

2- الكاهنة قامت بإحداث الخراب وقطع الأشجار،وكانت إفريقية ظلا واحدا من طرابلس إلى طنجة.(انظر: أحمد بن عذاري،المصدرالسابق،ج:1، ص 36.)

3- محمد محي الدين المشرفي،إفريقيا الشمالية في العصر القديم،ص،ص88، 89، 90.

4- مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الأمصار،تعليق:سعد زغلول عبد الحميد،دار الشؤون الثقافية،بغداد، د:ط،د:ت، ص 143.

*- قابس :مدينة في شمال إفريقية ،أطلق عليها الرومان اسم طاقاباي.(انظر:هنري س. عبودي ، معجم الحضارات السامية جروس برس ،بيروت ،ط:2 ،1991، ص667.)

5- مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الأمصار ص ،ص110 ، 112 ، 113.

6- محمد بن حوقل، صورة الأرض،دارمكتبة الحياة،بيروت،د:ط،1992، ص73 .

العظيمة[1]،التي يأتي عليها ماء كثير ومدينة باجة كثرة الحبوب الحنطة والحمص والفول،وانفردت بنزرت بأنواع جمة من الحوت الذي يسوق إلى جميع بلاد إفريقية.[2]

أما "بونة"*بها أسواق حسنة وتجارة مقصودة وبساتين كثيرة ووفرة القمح والشعير، وفي مدينة "باغاي" أسواق وبساتين كثيرة، وغلات الحنطة والشعير[3]،وفي "طنجة" مزارع كثيرة وفيها أصناف الرياحين العطرة ،أما "بلاد الزاب" كثرة نخيلها ووفرة مياهها ، أما "تلمسان" فكثيرة الثمار وغزيرة المياه والأنهارومنطقة "تاهرت" كثيرة البساتين فيها جميع الثمار وخاصة السفرجل[4] ، أما "السوس الأقصى"فهو بلاد واسعة وبه البساتين والجنات بأنواع الفواكه والثمار والعنب والتمر وقصب السكر والعسل[5].

من خلال اطلاعنا على هذه المصادر، يتبين لنا أن بلاد المغرب كانت منطقة زراعية اشتهرت بكثرة وتنوع إنتاجها،فقد كانت تمول الرومان بالحبوب.[6]

وجاء البيزنطيون وصاروا يعتمدون عليها،في اقتناء الزيتون والزيت، ويبدو أن بلاد المغرب قد انتعشت اقتصاديا حتى أواخر العهد البيزنطي ،ونجد أن الفئة الساحقة من قدامى المؤرخين العرب،يذكرون أن العرب حينما افتتحوا إفريقية ألفوا البلاد كثيرة الزروع وافرة الثمرات،آهلة بالعمران[7]،كما تقدمنا بذكره،وأيضا يظهر لنا انتشار المراعي وكثرة الاعتناء بتربية الحيوانات[8] .

1- حسان بن النعمان عندما قطع القناة عن أهل قرطاجنة.(انظر:عبد الله المالكي،رياض النفوس،ج:1،ص36.).

2- مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص،ص 119 ، 160._بتصرف_

*- بونة:مدينة بإفريقية قريبة من فحص القل وهي على ساحل البحر.(انظر:محمدالحميري،المصدر السابق، ص 330)

3- محمد بن حوقل، صورة الأرض، صص 77 و 84. بتصرف

4- مؤلف مجهول،المصدر نفسه ص 139 ، 178._بتصرف_

5- محمد الحميري، المصدر نفسه ، ص 330.

6- محي الدين المشرفي،المرجع السابق، ص 89.

1- حسين مؤنس،المرجع السابق، ص 40.

8- ويبدو ذلك في قول ابن عذاري في تحديد عقبة بن نافع موقع السبخة لبناء مدينة القيروان بقوله:**<< وتكون إبلنا على باب قصرنا آمنة من عادية البربر والنصارى>>**،(انظر:أحمد بن عذاري،المصدر السابق ج:1،ص20)
وقول البلاذري:**<حويث ابن أبي السرح السرايا ففرقها في البلاد فأصابوا غنائم كثيرة،واستاقوا من المواشي ما قدروا عليه.>>** . (انظر:أحمد البلاذري،المصدر السابق ، ص318).

المطلب الثالث: المجتمع :تكشف لنا المصادر بخصوص تركيبة المجتمع المغربي قبيل الفتح الإسلامي،عن وجود أربع فئات من السكان، الذين كانوا يقطنون المغرب وهم "الأفارق" و"الروم" و"الفرنجة" و"البربر".

فأما "الأفارق" هم بقايا شعب قرطاجنة وأخلاط من المستعمرين اللاتين،ونفر من الوطنيين الذين تأثروا بحضارة الرومان والبيزنطيين وكانوا موالين بالطاعة للدولة البيزنطية، يشتغلون في الزراعة والصناعة.[1]

وهذا ما جاء به جوليان أيضا،بأنه منذ عصورما قبل التاريخ،استقرت ببلاد المغرب شعوب مختلفة اندمجت بالسكان الأصليين مثل "اليهود"و"الفنيقيين"و"اللاتين"و"الوندال""واليونان"،ولاشك أن كل هذه الشبكة من الأجناس تدخل ضمن عنصر الأفارق.

ومما يؤكد لنا عن وجود هذه الفئة في قول ابن عبد الحكم:« **وأقام الأفارق وكانوا خدما للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم.**»[2]،وقد يدخل ضمن فئة الأفارق،بقاياأخلاط السكان في المدن التي أسسها الرومان،وتمالاعتراف لهم بحقوق المواطنة الرومانية سواء بالأصل أو بالقانون في إطار ما يسمى بعملية "الرومنة".[3]

وأما المقصود "بالروم" فهم "البيزنطيون" لأن غالبية المؤرخين العرب درجوا على إطلاق هذه التسمية رعايا الدولة البيزنطية مهما كانت أصولهم.[4]

وأما فئة" الفرنجة"،فإننا نجد "ابن خلدون" يميز بين الروم والفرنجة، فمن خلال قراءتنا لأحداث الفاتحين في إفريقية، يظهر قوله : « **وفر منه الروم والفرنجة** ».[5]

1- عبد العزيزسالم، المرجع السابق، ص 133.

2- عبد الرحمان بن عبد الحكم،فتوح مصروالمغرب،ج:1، ص229.

3- محمد الهادي حارش،التاريخ المغاربي القديم، ص،ص201 ، 202. بتصرف

4- لاحظ استعمال كلمة(الروم)، عند كل من: أحمد البلاذري، المصدر السابق،ص 321 ، وانظر:(عبدالله المالكي، رياض النفوس، تح: بشيرالبكوش،دار الغرب الإسلامي،ج:1،بيروت،ط:2، 1994،ص 20)،وكذلك انظر:(عزالدين بن الأثير:الكامل في التاريخ،ج2،ص483)، انظر:(أحمد بن عذاري:المصدر السابق،ج1،ص16.).

5- عبد الرحمان بن خلدون،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربرومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر،ج4، دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت ،د:ط،2000،ص236.

وفي موضع آخر،نجد أن ابن خلدون(ت808هـ) يقصد بالروم السكان والجيوش الوافدين من "القسطنطينية"،في قوله:« **وقاتل مدد الروم الذي جاءها من قسطنطينية.**»[1]،بينما الفرنجة فنجد أن بعضا من المؤرخين المسلمين يقصدون بهم، نصارى غرب أوربا تمييزا لهم عن روم القسطنطينية.[2]

ونجد "السلاوي" أيضا يوافق ابن خلدون،بقوله:« **وكان الفرنجة هم الذين ولوا أمر إفريقية ولم تكن للروم فيها ولاية**»، على أن ذلك فقط من باب التغليب،لأن العرب لم يعرفوا[3]،ولم يقاتلوا إلا "الروم" في "الشام" ،ويقول أيضا أن "جرجير" المقتول عند الفتح هو من "الفرنجة" وليس من "الروم"[4]

وأما "البربر" هم سكان البلاد الأصليون وينقسمون إلى قسمين: "البرانس" و"البتر"، وأصول هؤلاء البربر لا تزال موضع اختلاف وجدال،فمؤرخو العرب ،يرجعون نسبهم إلى أصول عربية سامية.

ومن أهم وأكبر قبائل البتر،قبيلة زناتة وتتفرع بدورها إلى قبائل عديدة، نذكرمنها: جراوة،مغراوة،بني مرين،بني وطاس،بني زيان،بني يفرن،وقد انتجعت وانتشرت قبائل زناتة في جميع أنحاء المغرب .

أما عن أهم قبائل البرانس ، نذكر قبيلة صنهاجة والتي تضم مجموعة من القبائل فتوجد صنهاجة الشمال ، وتنتشر في المناطق القريبة من الساحل، وهناك صنهاجة الجنوب وتنتجع الجنوب في الصحراء،ومن أهم فروعها:لمطة،جزولة،جدالة،مسوفة[5].

المطلب الرابع:الوضع الديني:كانت أوضاع بلاد المغرب الدينية إنعكاسا لواقع المشكلة الدينية داخل الإمبراطورية البيزنطية، حيث ظهر الصراع بين

1- عبد الرحمان بن خلدون،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر،ج4، ص236.

2- حسين مؤنس،المرجع السابق، ص 5.

3- انظر قوله تعالى:**<< الم ،غلبت الروم .>>**الآيتان 1، 2 من سورة الروم، مصحف القرآن، رواية حفص.

4- أحمد السلاوي،الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى،دارالكتاب،الدار البيضاء،د:ط،1954،ص33.

5- مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص، 13، 16._بتصرف_

"الأريوسية"* و"الإثناسيوسية"* ،ونشأت كنائس "أنطاكية"** و"بيت المقدس" و"الإسكندرية" إلى جانب كنيسة القسطنطينية،واحتدم النزاع بينكنيسة روما وكنيسة القسطنطينية،وبين أنصار المذهب "الأرثودوكسي" وهو مذهب الطبيعتين في المسيح*** وبين أنصار المذهب "المونوفيزتي" وهو مذهب الطبيعة الواحدة**** الذي ذاع صيته في الشرق في الشام ومصر.

وبالرغم مما أبداه الأباطرة البيزنطيون من جهود مضنية، لتطويق هذه المعضلة،عن طريق الاضطهاد أحيانا ،وعن طريق التوفيق أحيانا أخرى،في محاولات فاشلة لاستقطاب أنصار الطبيعة الواحدة إلى حظيرة "كنيسة القسطنطينية"[1]،فقد عجز "جوستينيان" أن يجسد "الوحدة الدينية"، وإخضاع الكنيسة إلى سلطانه مما أحدث الشقاق بين الشرق والغرب.[2]

*- الأريوسية:نحلة دينية نادى بها كاهن اسكندري يسمى آريوس (270 . 336م)،وتزعم هذه النحلة أن الكلمة غير مساو للأب في الجوهر.(انظر:هنري س. عبودي ، المرجع السابق، ص21).

*- الإثناسيوسية:مذهب ديني مسيحي ينسب إلى الأسقف السكندري إثناسيوس،الذي عارض آريوس في مجمع نيقيا المنعقد سنة325م،تحت إشراف الإمبراطور قسطنطين،ففندإثناسيوس آراء آريوس،وقال:**<<كما أن الأب أزلي،يجب أن يكون الابن أيضا أزليا،لأن كل ما نراه في الأب يجب أن يكون بلاجدال في الابن،الأب نور والابن شعاع ونور حقيقي ،الأب إلـه حـق،والابن إلـه حـق.>>** .(انظر: حسنين محمد ربيع،دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية،دارالنهضة العربية،القاهرة،د:ط،1983،ص،ص 29، 30).

**- أنطاكية :من قصبة العواصم من الثغور الشامية موصوفة بالحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير . (انظر:ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج1،ص 266.)

***- مذهب الطبيعتين هو المذهب الأرثودوكسي ويعتقد أن هناك طبيعتان في المسيح ،يجب تمييز إحداهما عن الأخرى،حتى بعد تجسده،وهي الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية.انظر:(حسنين محمد ربيع،دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية،ص54)

****- مذهب الطبيعة الواحدة هو المذهب المنوفيزتي ويعتقد أن المسيح له طبيعة واحدة وأن ناسوت المسيح قد تلاشى في لاهوته واختلط به وانعدم فيه.(انظر: حسنين محمد ربيع: المرجع نفسه،ص 52 ،53).

1- حسنين محمد ربيع،المرجعالسابق،ص ص47 ،57 ، 58. بتصرف

1- محمد محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق، صص 62 ، 64.

وحاول "هرقل"،أن يحقق تلك الوحدة،فحرم الخوض في طبيعة المسيح بواسطة مذهبه الجديد،الذي سماه مذهب التوفيق الذي يجمع بين مختلف المذاهب*****[1]،وكانت كل هذه الصراعات الدينية لها انعكاساتها على منطقة المغرب .

وقد سعى "قنسطانز الثاني"،جاهدا لربط شمال إفريقيا بالدولة البيزنطية وحل المشكلة الدينية وفرض "مذهب هرقل"وهو مذهب التوفيق،فتفاقمت هذه المشكلة واشتد الانقسام في إفريقية[2]،فتزايد أتباع الدوناتية *[3]،وأظهروا طقوسهم وناهضوا الكنيسة البيزنطية،إلا أن المسيحية قد تغلغلت في داخل البلاد،وانتشرت بين القبائل البربرية،لكن الضعف قد ساد العلاقات بين "أهالي إفريقية" والكنيسة البيزنطية .

وفي الوقت ذاته استفحل أمر الكنيسة الغربية بفضل جهود "جريجوري الأكبر"، وأخذ مسيحيو إفريقيا،وقساوسة"قرطاجنة"و"توميديا" ،يتجهون إلى كنيسة "روما" ، وتوافدت "البعثات التبشيرية" من الكنيسة الغربيةوفي سنة 640 م، في عهد جريجوريوس الثاني،أقبل على إفريقيا الراهب "مكسيموس"،وأخذ ينشر تعاليمه بين رهبان إفريقية، وساندته البابوية،فكان ذلك فرصة لجريوريوس، للانفصال عن الإمبراطورية، والتف حوله نفر من القساوسة يحرضونه على ذلك ، مما أحدث شقاقا دينيا بينهم،كان سببه تلك الحركة الانفصالية[4].

المبحث الثالث: مناطق نفوذ البيزنطيين: بعد الاجتياح البيزنطي" لبلاد المغرب" الذي شنه الإمبراطور جوستينيان في 22 جوان سنة 533 م ، بواسطة

*****–هو المذهب المونوثيليتي:هو المذهب الذي دعا إليه الإمبراطور هرقل ومعناه أن ما للمسيح من طبيعتين إلهية وبشرية، تتسمان بإرادة واحدة ،ونشره في مرسوم سنة 638م،تحت اسم " تفسير الإيمان".(انظر:حسنين محمد ربيع،المرجع السابق ص73)

1– محمد محمد مرسي الشيخ، المرجع نفسه،ص 90.

2– محمد محمد مرسي الشيخ، المرجع نفسه،ص 97.

*– الدوناتية:مذهب ديني نسبة إلى الأسقف دوناتوس الذي اختلف مع أسقف قرطاجنة ،فلجأ إلى البربر،فرفعوا علم الثورة،علىالرومان،وكان ميدانها في نوميدياوموريطانيا.(انظر:حسينمؤنس،المرجع السابق، ص 29)

3– حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص 29.

4– حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص،ص 31 ،47._بتصرف_

القائد"بليزاريوس"** ،الذي قاد حملة ناجحة مكونة من 16 ألف محاربا،ونزل بهم على ساحل إفريقية بالقرب من "سوسة"[1]

المطلب الأول : المناطق المدنية : لقد كان الطموح البيزطي كبيرا لأن يعيد "لإفريقية" حالة النظام والحضارة التي،كانت عليه في "العهد الروماني"من الحركة العمرانية وإنشاء المدن التي كانت تستقبل مجوعات من السكان الذين يتمتعون بحقوق "المواطنة الرومانية".[2]

ولكن في واقع الأمر ،أن"البيزنطيين" لم يبسطوا سيادتهم إلا على مناطق السواحل في "شمال إفريقية" و"السهول الساحلية" وبعض "المناطق الإستراتيجية" في الداخل .

أما المناطق الأخرى فقد استرجعت فيها "القبائل البربرية" سيادتها [3]،وكان تمركز السكان،وفق النظام الإداري والذي بموجبه قسمت البلاد إلى أقاليم عديدة كما سبق التعرض إليه، واستوطن البيزنطيون والأفارق في المناطق الساحلية من "برقة" إلى "طرابلس" .

ويتبين لنا ذلك عند"ابن عبد الحكم"،حيثأن "الروم"و"الأفارق"، كانوا يقيمون في مدينة"سبرت"* وأن "الأفارق" كانوا خدما "للروم".[4]

وأيضا نجد أن البيزنطيين ،أقاموا أيضا على ساحل "طرابلس" ويعتبر من المناطق المدنية الآهلة بالسكان.

وهذا ما يورده ابن عبد الحكم ،في موقعة حاصر المسلمون "لطرابلس"وعند اقتحم المدينة ، مجموعة من عسكر المسلمين،وجدوا سفن الروم شارعةفي مرساها إلى بيوتهم، فدخلوا حتى أتوا من ناحية الكنيسة.[5]

**–بليزاريوس:من أكفأ القادة الذين اعتمد عليهم الإمبراطور جستنيان،زحف على قرطاجنة وحطم قوة الوندال بين سنتي533 و534م،واستولى على روما سنة 535م،(انظر :محمد محمد مرسي الشيخ،المرجعالسابق،ص ص45، 48)

1- محمد الهادي حارش،المرجع السابق، ص 267.

2- محمد الهادي حارش،المرجع نفسه ،ص 201.

3- محمد الهادي الشريف،تاريختونس،دار سراس،تونس،ط3، 1993، ص 34.

*- سبرت:هي مدينة نبارة في منطقة طرابلس واسم سبرت كان يطلق على سوق قديم في منطقة طرابلس.انظر :ياقوتالحموي،المصدر السابق،ج3 ص184

4- عبد الرحمان بن عبد الحكم،المصدرالسابق،ص 229.

5- عبد الرحمان بن عبدالحكم،المصدر نفسه، ص231.

ويظهر كذلك أيضا من الحملة التي شنها المسلمون على السواحل،فعبروا البحر،وفتحوا جزيرة تسمى "جربة" ،وتقع غير بعيدة عن الساحل،وتبدو أنها كثيرة السكان بدليل أن المسلمين،أصابوا فيها سبيا كثيرا[1].

وأيضا نجد ابن الأثير يروي لنا بأن المسلمين التقوا بجموع الروم خارج مدينة سبيطلة في مكان يبعد بمسافة يوم وليلة ،لأن هذه المدينة هي دار الملك.[2]

ومدينة قفصة*،إذ نجد أن أكثر أهلها يتكلم باللسان اللطيني الإفريقي، وهذه المدينة فيها سور وفيه أبواب عظيمة ومنازل وأبراج مسكونة والقصور العامرة.[3]

وتعتبر أيضا من المناطق التي يقطنها السكان البيزنطيون، المدينة العظمى قرطاجنة والتي كان بها الكثير من العمران ولها قناة عظيمة تزود الأهالي بالمياه[4] كما ذكرنا.

وبقرطاجة أيضا دار الطياطر وهو كله أقباء معقودة على سواري رخام[5] ، ونجد أيضا ابن ابن عذاري يحدثنا عن مدينة جالولاء** ، ويستفاد ما ذكره،أنها آهلة بالسكان، بقوله:« **حتى فتحها عنوة ،فقتل المقاتلة،وسبى الذرية،وأخذ جميع ما كان في المدينة.**».[6]

كما يمكننا أن نذكر من بين المناطق التي كانت أهلة بالسكان وخاضعة لنفوذ البيزنطي، منطقة الزاب***،فقد جاء عند المالكي :« **أذنة**** **وهي دار ملكهم،وكان حولها ثلاثمائة وستون قرية ،كلها عامرة.**».[1]

1- حسين مؤنس،المرجع السابق،ص126.

2- عز الدين بن الأثير،المصدر السابق،ج2، ص 483

*- قفصة:بلدة صغيرة من عمل الزاب الكبير بالجريد ،بينها وبين القيروان مسير ثلاثة أيام انظر:(ياقوت الحموي:المصدر السابق،ج4، ص382.)

3- محمد الحميري،المصدر السابق،صص 478 ، 479

4- محمد الحميري،المصدر نفسه،ص 49

5- محمد الحميري،المصدر نفسه،ص 463

**- جالولاء : مدينة مشهورة بإفريقية بينها وبين القيروان مسافة قريبة ،وهي مدينة قديمة أزلية مبنية بالصخر.
انظر:(ياقوت الحموي:المصدر نفسه،ج2، ص156.)

6- محمد بن عذاري،المصدر السابق،ج1، ص16.

المطلب الثاني:المناطق والتحصينات العسكرية:

في الواقع أن السلطات البيزنطية قامت بتأمين كل المناطق التي استولت عليها،فكان البيزنطيون في المغرب يعتمدون في الدفاع عن البلاد على التحصينات المعمارية،التي قاموا بإنشائها تنفيذ اللسياسة الدفاعية التي تم تسطيرها،بقصد حماية السكان في المناطق المعرضة لثورات البربر[2]مثل الذي نراه عند المالكي،عندما يتحدث عن محاصرة المسلمين لحصن جالولاء،فلاحظ رجل من جيوش المسلمين ،أن ركنا من أركان الحصن قد تهدم فأخبر القادة فراحوا يهاجمون الحصن من موضع الهدم ،فوجدوا جيوش الروم فقاتلوهم[3] ، ومنه يتبين لنا أن الحصن هو بمثابة قاعدة هامة للجيوش البيزنطية.

ووصف الحميري جالولاء بأنها مدينة قديمة تتميز بحصنها،وهذا لا ينفي وجود مناطق العمران، ففي وسط ذلك الحصن عين ثرة ومن حولها بساتين والأشجار كثيرة الثمار والأزهار.[4]

ونذكر كذلك فحص الأجم بمنطقة مرمجنة* ، والذي يعد من أكبر الحصون العسكرية في إفريقية على حد تعبير النويري.[5]

وأيضا الحصن الذي أقامه البيزنطيون في مدينة أذنة، ببلاد الزاب والذي يعتبر قاعدة عسكرية تحمى قرى كثيرة حولها،على حد ما جاء عند المالكي أيضا[6].

***- الزاب :بلاد على أطراف الصحراء في سمت البلاد الجريدية من عمل إفريقية،بها عمائر متصلة ومدن كثيرة ،ومن مدنها:المسيلة،طبنة،نقاوس،تهودة.(انظر:محمد الحميري: المصدر نفسه ، ص281.)

****- أذنة : مدينة من أرض الزاب على مقربة من مدينة المسيلة بينهما 12 ميلا وهي مملكة رومية قديمة،كانت مملكة الروم البيزنطيين بالزاب. انظر:(محمد الحميري: المصدر نفسه،ص 20).

1- عبد الله المالكي،رياض النفوس،ج1،ص 36.

2- عبد العزيز سالم ، المرجع السابق،ج2، ص81 .

3- عبد الله المالكي، المصدر السابق،ج1 ، ص29.

4- محمد الحميري، المصدر نفسه ، ص168.

*- مرمجنة:قرية بإفريقية يقطنها قبيلة هوارة من البربر.نظر:(ياقوت الحموي:المصدر السابق،ج5، ص 109).

5- شهاب الدين أحمد النويري، نهاية الأرب،المصدر السابق،ج24، ص8.

6- عبد الله المالكي ،المصدر نفسه،1، ص36.

وقام البيزنطيون بجهود عظيمة من أجل إنشاء هذه التحصينات،وترميم الأسوار والقلاع الرومانية ،وقد كانت التحصينات تقترب من التحصينات الرومانية القديمة في تغلغلها داخل البلاد في منطقة طرابلس وبيزاسينونوميديا حتى المنطقة الواقعة جنوب الأوراس، ولكن شبكة هذه الحصون تبدأ في التقلص كلا اتجهنا ناحية الغرب،فكان النفوذ البيزنطي في موريتانيا الطنجية لايتعدى منطقة "سبتة"**.[1]

ولأجل التحكم في حماية وتأمين هذه المناطق فقد عمد البيزنطيون إلى تقسيم المغرب تقسيما عسكريا،فمنطقة طرابلس كان مركزها لبدة* ، ومنطقة بيزاسين مركزها قفصة ونوميديا ومركزها قسنطينة وموريتانيا ومركزها شرشال[2]** ،وكان يشرف على ناحية أو منطقة قائدا برتبة دوق،أما منطقة سبتة، فكانت تحت وصاية ضابط برتبة أقل من الدوق وكان يتبع دوق موريتانيا[3]،وجميع هؤلاء القادة يخضعون إلى القائد الأعلى الذي يضطلع بالقيادة العامة للجيش البيزنطي في بلاد المغرب،ويقوم بتعيينه الإمبراطور وكان مركزه في مدينة قرطاجنة.[4]

أما عن تشكيل الجيش البيزنطي،فقد كان يتكون من جنود الحرس وهم يرافقون القائد الأعلى،ومن الجيش المتحرك الذي يضم المشاة،وأفواج الفرسان ومن الحلفاء وعادة ما يكونون من المرتزقة،من شعوب البلدان الأخرى،وأيضا نجد أفواجا من المجندين الأهالي من البربر.[5]

**- سبتة :مدينة على الخليج الرومي المعروف بالزقاق وهي تقابل الجزيرة الخضراء.(انظر:محمد الحميري: المصدر السابق ، ص 303.)

1- عبد العزيز سالم ، المرجع نفسه،ج2، ص82.

*- لبدة : مدينة قديمة بناحية طرابلس الغرب ،على مسافة من البحر وسكانها من البربر.(انظر:محمد الحميري: المصدر نفسه ، ص 508.)

2- محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم، ص291.

**- شرشال:مدينة بالمغرب بها مياه جارية وآبار عذبة وهي قريبة المسافة من مدينة جزائر بني مزغنة. (انظر:محمد الحميري: المصدر نفسه ، ص 340.)

3- عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير ص81 .

4- عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير ص80.

5- محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم، ص292.

المطلب الثالث: المناطق الزراعية:

لقد كان النفوذ البيزنطي ، مرتكزا أساسا على السيطرة على السهول الساحلية الواقعة في المدن الكبرى ،والمراكز الحربية الحصينة الموروثة عن أسلافهم الرومان الذين ركزوا جهودهم وأعمالهم لزراعة القمح، في السهول الساحلية والسهول القريبة من الساحل،ففيمناطق من موريتانيا القيصرية ازدهرت الغراسة الشجرية من الكروم والزيتون والتين، وقد احتلت غراسة الزيتون مكانة مرموقة في إقليم طرابلس، وعلى السواحل في نوميديا،وأمافي هضاب موريتانيا القيصرية وأراضي موريتانيا الطنجية فقد ظلت فيها زراعة القمح .[1]

أما النفوذ البيزنطي فقد كان يقوم على الاستحواذ على هذه المناطق، وقد انتهجوا نفس الأسلوب الذي سلكه الرومان حرصا على السيطرة على المغرب،فعمدوا إلى القضاء على الشخصية والهوية المغربية،والعمل على تكريس الثقافة واللغة اللاتينية،

ولجؤواإلى سياسة افتكاك الأراضي الزراعية الخصبة من أيدي الأهالي،ومنحها لطبقة من الأسر البيزنطية، وهكذا صارت الحياة في كبريات المدن في المغرب مرتبطة بالثقافة اللاتينية،ونتيجة لذلك ظهرت فئة من المزارعين، تكونت من معمري المدن البيزنطية ، الذين أخذوا في تأسيس المزارع الكولونيالية التي أثارت سخط الكثير من القبائل البربرية والتي أشعلت العديد من الثورات لاسترداد أراضيها المغتصبة.[2]

وأهم ماميزها هو تحول وضع الفلاحين الصغار وعمال الأرض إلى حالة تشبه حالة الأقنان ذلك بسبب احتكار هؤلاء الفئات على ملكية الأراضي نظرا لما يتمتعون به من نفوذ سياسي ،غير أن القسم الشمالي من البروقنصلية،وكذلك سهول بيزاسان قد ازدهرت حتى أواسط القرن السابع الميلادي،واستمر تموين القسطنطينية بالقمح[3]

1- محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم،المرجع السابق، ص204 ، 205.

2- عثمان سعدي : الجزائر في التاريخ، ص173 ، 174.

3 – محمد الهادي الشريف،المرجع السابق، ص ص 35، 36

الفصل الثاني:العلاقات قبل الفتح المنضم (21–50هـ/641_670م)

المبحث الأول :العلاقات على عهد عمرو بن العاص(21–25هـ/641–645م)

المطلب الأول فتح برقة (21_22هـ/641_642م)

المطلب الثاني:فتح طرابلس (22هـ/642م)

المبحث الثاني:العلاقات على عهد عبد الله ابن ابي سرح (25_28هـ)

المطلب الأول :التحضير للحملة

المطلب الثاني:حملة عبد الله بن سعد ابن أبي سرح

المبحث الثالث:العلاقات على عهد معاوية بن حديج (40_50هـ)

المطلب الأول:عودة البيزنطيين للمغرب

المطلب الثاني:غزوة معاوية بن حديج

يذكر الكثير من المؤرخين المسلمين أن أول بذور العلاقات بين الفاتحين المسلمين والبيزنطيين بالمغرب كانت بعد انتهاء "عمرو بن العاص"* من فتح مصر وتطلعه لتأمينها من الجهة الغربية ،وأطلق على هذه المرحلة من فتح إفريقيا بمرحلة الاستطلاع أو الفتح الغير منظم (50/21هـ_670/641م) التي هي فحوى هذا الفصل ،وسنتعرض لمجريات هذه المرحلة من خلال تتبع قادة الفتح الذين نشطوها وهم:عمرو بن العاص(ق/1هـ ت)،عبد الله ابن أبي سرح،معاوية بن حديج السكوني .

المبحث الأول:العلاقات عهد عمرو بن العاص(25/21هـ_645/641م)

قام عمرو بن العاص بفتح مصر رغبة منه في تامين الشام بعد فتحها وكذلك نفس الشيء بالنسبة للمغرب فقد أرادأن يفتحها تأمينا لمصر من كيد البيزنطيين الذين امتد نفوذهم لتخوم مصر، إذ أن "برقة""وطرابلس" كانتا تابعتين للبيزنطيين فأراد أن يضمهما إلى لواء الدولة الإسلامية .

المطلب الأول:فتح برقة (22/21هـ_642/641م)

اختلفت المصادر الإسلامية في تحديد تاريخ بداية الفتوحات في إفريقيا وتحديدا تاريخ فتح برقة وهذا مانلمسه من خلال كتاباتهم عن هذه الحادثة،ومثال ذلك مانجده عند "اليعقوبي" الذي يذكر أن بداية فتح برقة كان سنة 21هـ[1] والأمر نلتمسه متكررا عند "الطبري"[2] الذي له نفس القول في تحديد هذا التاريخ ،وحتى "عبد الرحمان ابن خلدون" يرى ذلك أي ان بداية الفتح كانت سنة 21هـ.[3]

*-عمرو بن العاص:عمر بن العص بن وائل بن هشام أسلم في الحديبية وهاجر استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات السلاسل وذلك لخبرته بمكيدة الحرب .أنظر:(شمس الدين الذهبي:تاريخالاسلام ج2 ص425.)

[1]-أحمد بن أبي يعقوب،المصدرالسابق،ج 2،ص48.

[2]-محمد بن جرير الطبري:تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك ،ج:1،دار المعارف ، القاهرة ،ط:2،1971،ص144.

[3]-عبد الرحمان ابن خلدون ،المصدر السابق،ج2،ص573.

كما يوجد من المؤرخين من يرى أن بداية الفتح الإسلامي كان في السنة الموالية أي سنة 22 هـ و هذا ما ذهب إليه كوكبة أخرى من المؤرخين من بينهم نذكر المؤرخ إبن عبد الحكم[1](ت257هـ) وكذلك ذكر إبن الأثير في كتاباته أن بداية الفتح الإسلامي و فتح برقة كان في سنة 22هـ [2].

بعد أن أتم عمرو بن العاص فتح "مصر" و "الإسكندرية" أرسل قائد جنده عقبة بن نافع على طلائع من الجيش ليوافيه بالأخبار و يستطلع المنطقة* فتوجه عقبة بن نافع إلى "برقة" وما جاورها وقد قام عقبة بن نافع بمصالحة أهل برقة الذين قد أرسلو إلى عمر بن العاص يريدون الدخول في الإسلام على يديه[3]، و كانوا على دين النصرانية[4]

.ويذكر المؤرخون أن عمرو بن العاص بعد سماعه بما قام به عقبة بن نافع (ت63هـ)سار بنفسه إلى برقة و أبرم الصلح مع أهلها على جزية يدفعونها و هذا ما ذكره إبن الأثير« **سار عمرو بنالعاص من مصر إلى برقة فصالحه أهلها على الجزية** [5]» وقد قبل منهم أن يبيعوا من أولادهم من أرادوا بيعه.وهذا ما كانوا عليه من قبل، والأمر الذي أكده المؤرخ "شارل ديل" الذي يقول « **كان الموظفون يجمعون الضرائب بدقة فيها كثير من القسوة لكي يقوموا بالمطالب المالية الثقيلة التي كانت تنهال عليهم حتى أن دافع الضرائب كان يضطر إلى بيع أبنائه كعبيد كان الموظفون يجمعون الضرائب بدقة فيها كثير من القسوة لكي يقومو بالمطالب المالية الثقيلة التي كانت تنهال عليهم، حتى أن دافع الضرائب كان يضطر إلى بيع أبنائه**

---

[1]–إبن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص171.

[2]–عز الدين إبن الأثير ، المصدر السابق ، ج3 ، ص12.

*– قام عمرو بن العاص ببعث من يجلب له أخبار البلاد التي أصبح على حدودها إلا أن العرب المسلمين كانوا يجهلون المنطقة وما يميزها فهم ألفوا الصحراء غير أن البلاد الجديدة مغاييرة عما عرفوه وأيضا لمعرفة الجانب العسكري فيها.

[3]–حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص54.

[4]–محمد إبن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس ، ص22.

[5]–عز الدين إبن الأثير ، المصدر السابق ، ج2 ، ص428.

كعبيد[1]، و قد قدرت الجزية التي صالح عمرو بن العاص عليها أهل برقة هي ثلاثة عشر ألف دينار[2] .

المطلب الثاني:فتح طرابلس: (22 هـ/642م) بعد أن صالح عمرو بن العاص أهل برقة قصد طرابلس فاتحا لها حتى بلغ عاصمتها،أقام معسكرا بالقبة التي على الشرق من شرقيها،ونصب حصارا على طرابلس لمدة شهر ولم يستطع دخولها[3]

ويذكر ابن الحكم رواية مفصلة عن فتح طرابلس،أن عمرو بن العاص سار حتى نزل طرابلس سنة اثنين وعشرين، فقام بحصارها لمدة شهر و يقول « **خرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر عمرو متصيدا في سبعة نفر،فمضوا غربي المدينة حتى أمعنوا عن المعسكر،ثم رجعوا فأصابهم الحر فاخذوا على ضفة البحر،وكان البحر لاصقا بصور المدينة، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور،وكانتسفن الروم شارعة في مرساها إلى بيوتهم، فنضر المدلجي و أصحابه فإذا البحر قد غاض من ناحية المدينة ووجدوا مسلكا إليها من الموضع الذي غاض من البحر،فدخلوا منه حتى أتو من ناحية الكنيسة وكبروا فلم يكن للروم مفزعإلا سفنهم ،وأبصر عمرو أصحابه الستة في جوف المدينة،فاقبل بجيشه حتى دخل عليهم فلم تفلت الروم إلا بما خف لهم في مراكبهم وغنم عمرو ما كان في المدينة**[4] »وهذا التفصيل لانجده عند مؤرخين غيره "فعبد الرحمن ابن خلدون"[5*] يذكر فتح طرابلس بإيجاز وكذلك "البلاذري" الذي يلخص الحادثة بقوله «**سار عمرو بن**

---

[1]–Charles Diehl , L'Afriquebyzantine, édErnestLeroux ,paris,1896,p 565.

[2]–البلاذري ، المصدر السابق، ص224 ، و أنظر إبن عبد الحكم ، المصدر السابق، ص 171 ، و أنظر ، عز الدين إبن الأثير ،المصدر السابق ج3 ، ص 10.

[3]-عز الدين ابن الاثير: المصدر السابق،ج2،ص428.

[4]–ابن عبد الحكم:المرجع نفسه،ص172.

*_عبد الرحمن ابن خلدون:عب الرحمن بن محمد (732–808هـ/1332–1406م) مؤرخ وفيلسوف عربي يعتبر أحد أعظم المفكرين العلميين في مختلف العصور.(أنظر:معجم أعلام المورد:ض23.)

[5]-عبد الرحمن ابن خلدون:المرجع السابق،ج2،ص573.

العاص حتى نزل طرابلس سنة22هـ،فقوتل حتى فتحها عنوة،ثم افتتحها وأصاب بها أجم الزيتون كثيرة مع تجار من تجارها،فباعه وقسم ثمنه بين المسلمين»[1] يضيف "ابن الأثير" في قوله« **ونظر عمرو بن العاص ومن معه فرأى السيوف في المدينة،وسمعوا الصياح،فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد »**[2]

لما نزل عمرو بن العاص في طرابلس تحصن أهل"سبرة"بحصنهم،فلما سمعوا أن عمرو بن العاص استعصى عليه فتح طرابلس أمنوا وطمأنوا ،وبعدأن فتحت مدينة طرابلس جند عمرو بن العاص عسكرا كثيفا وسيره إلى سبرة

حيث كان أهلها في أشغالهم أمنين فاتحين بابها لتخرج المواشي للمرعى،لأنهم لم يبلغهم خبر فتح طرابلس،فوقع المسلمون عليها وفتحوها عنوة غانمين ما فيها وعادوا إلى عمرو[3]،وهذا ما عبر عنه ابن عبد الحكم على النحو التالي« **وكان من بسبرة متحصنين،فلما بلغهم محاصرة عمر و مدينة طرابلس،وأنه لم يصنع فيهم شيء ولا طاقة له بهم أمنوا،فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة طرابلس جرد خيلا كثيفا من ليلته،وأمرهم بسرعة السير،فصبحت خيله مدينة سبرت وقد غفلوا وفتحوا أبابهم لتصرح ماشيتهم فدخلوها فلم ينج منهم أحد واحتوى عمرو على ما فيها** [4]»في الوقت نفسه قام عمرو بن العاص وهو مقيم بمدينة طرابلس ببعث "بشر بن أرطأة" ففتح ودان وجبال نفوسة،ولم يتجاوز عمرو بن العاص عن ذلك ورجع إلى"مصر"[5]

---

[1]-البلاذري :المرجع السابق،ص225.

[2]-عز الدين ابن الأثير:المرجع نفسه:ج3،ص10.

[3]–عز الدين ابن الأثير:المرجع السابق،ج2،ص428.

[2]–ابن عبد الحكم:المرجع السابق،ص172.

[3]–محمد ابن أبي دينار:الرجع السابق،ص22.

المبحث الثاني:العلاقات في عهد عبد الله بن أبي سرح(25_28هـ):بعد وفاة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الذي لم يوافق على فتح إفريقيا تولى عثمان بن عفان الخلافة فقام بعزل عمر بن العاص عن ولاية مصر،وولىأخوه من الرضاعة عبد الله بن أبي سرح الذي سنستعرض دوره في العلاقات مع البيزنطيين في هذا المبحث.

المطلب الأول:التحضير للحملة بعد أن تولى "عثمان بن عفان"* (ت 35هـ)خلافة الدولة الدولة الإسلامية،قام بعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وعين أخاه من الرضاعة "عبد الله بن سعد بن أبي سرح"**،وهذا الأخير من القادة الإسلاميين الذين يحملون فكرة مطاردة البيزنطيين وإتمام الفتح[1]فلم يكديستقر بعد في ولايته حتى بدأ بالتمهيد لغزو إفريقيا حيث شرع ببعث المسلمين في "جرائد"*** الخيل كما كانوا يفعلون في أيام عمرو بن العاص،فيصيبون من أطراف إفريقيا ويغنمون[2]،وكان يطلع الخليفة بذلك كما جاء عند النويري« **كان يكتب بذلكإلى عثمان**[3]»

*_عثمان بن عفان:عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس،أميرالمؤمنين،أبو عمرو وأبو عبد الله القرشي الأموي،روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الشيخين،أحد السابقين الأولين وذو النورين،صاحب الهجرتين وزوج الابنتين(.أنظر:شمس الدين الذهبي،المصدر السابق،ج2،،ص257.)

**_عبد الله بن سعد بن أبي سرح:عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري أخو عثمان من الرضاعة ولاه عثمان مصر ولما مات عثمان اعتزل الفتنة كان صاحب ميمنة عمرو بن العاص في حروبه وكان بطلا شجاعا مذكورا غوى بالجيش غير مرة المغرب،كان أمير غزوة ذات الصواري(.أنظر:شمس الدين الذهبي،المصدر نفسه ،ج2،ص425.)

[1]- رمضان عبد العظيم ،الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية،دارالمعارف،القاهرة،د:ط،1983،ص57.

***_جرائد:هيخيل لا رجالة فيها.(أنظر: أحمد النويري،نهاية الأرب في فنون الأدب،تح:عبد المجيد ترحيني،دار الكتاب العلمية،بيروت،ج:24،د:ت،ص4.)

[2]- ابن عبد الحكم،المرجع السابق،ص246.

[3]-أحمد النويري،المرجع السابق،ص4.

وبذلك كان يمهد لطلب فتح إفريقيا،كتب عبد الله بن سعد إلى عثمان يخبره بقرب المسلمين منها ويستأذنه في غزوها[1]،أطال عثمان في التفكير في هذا الطلب الخطير

فلما أراد أن يعطي أمر غزو إفريقيا قام عثمان بن عفان حسب مايذكر النويري باستشارة الصحابة في هذا الأمر فكان أغلبية الصحابة يرون إنفاذإفريقيا،إلا انه وجد من عارض ذلك لأن غزو إفريقيا قد اعرض عنه "عمر بن الخطاب"* على عهده[2].

لما كان تأييد معظم الصحابة لعثمان بإنفاذ الجيش،ندب الناس إلى الغزووهذا ما جاء عند ابن عبدالحكم« **فندب عثمان الناس لغزوها بعد المشورة منه في ذلك**[3]» ويبرزاهتمام الخليفة بهذه الغزوة في تلبية الناس لندائه،حيث تهافت الناس من مختلف القبائل للاشتراك في الغزوة.

وخرط نفر من كبار كل قوم ونفر غفير أيضا من مشاهير الصحابةوأولادهم[4]،ولكثرة من خرج في هذا الجيش ممن يسمى عبد اللهسمي هذا الجيش جيش "العبادلة"*،لميتردد عثمان في دعوة الناس حيثأعان الجيش بألف بعير من ماله*،حملعليها من لا يستطيع المسير،وحملعلى الخيل وفرق السلاح.[5]

---

[1]- ابن عبد الحكم،المرجع السابق،ص246.

*_عمر بن الخطاب: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد لعزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن كعب بن لؤي،أميرالمؤمنين،أبو حفص القرشي العدوي الفاروق رضي الله عنه،أستشهد أواخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين هجري.(أنظر: شمس الدين الذهبي،المصدر السابق،ج:2،ص138.)

[2]- أحمد النويري،المصدر السابق،ج:24،ص4.

[3]- ابن عبد الحكم،المصدر نفسه،ص246

[4]-حسين مؤنس،المرجع السابق،ص81.

*_من بينهم:عبد الله بن سعد وعبد الله بن الزبير و عبد الله ابن أبي بكر و وعبد الله بن يزيد وآخرونأيضا بسم عبد الله(أنظر:أحمدالنويري،المصدر نفسه،ج:24،ص4.وأنظر:حسين مؤنس،المرجع نفسه،ص81.)

*–هذا الأمر الذي يجعلنا نلاحظ أن الخلافة وعلى رأسها الخليفة نفسه له اهتمام خاص بعملية فتح المغرب وكذلك مسير العدد الكبير من الصحابة وأبنائهم لهذا الفتح هو اهتمام بالرقعة الجغرافية وأيضا مطاردة للبيزنطيين .

[5]-أحمد النويري،المرجع نفسه ،ج:24،ص5.

قام عثمان بترغيب الناس قبل مسيرهم واختطب فيهم قائلا:«**قد استعملت عليكم الحارث ابن الحكم الى أن تقدموا على عبد الله بن سعد فيكون الأمر اليه واستودعتكمالله**» بعدها وصلت القوات التي بعث بها الخليفة عثمان بن عفان إلىعبد الله بن سعد في مصر،فقام الأخير بجمع جنوده حتى صار تعداد الجيش المكون نحو عشرين ألف مقاتل باتفاق الرواة المسلمين حول هذا العدد[1].

المطلب الثاني: حملة عبد الله بن سعد ابن أبي سرح 26هـ

بعد أن اجتمع الجيش سار عبد الله بن سعد لغزو إفريقيا،كما يذكر ابن عذارى:«**فخرج عبد الله من مصر في عشرين ألفا إلى إفريقيا** [2]»فسار بهم عبد الله بن سعد قاصدين إفريقيا، فلما وصلوا إلى" برقة" انضم إلى الجيش "عقبة بن نافع" ومن معه من المسلمين الذين كانوا مرابطين بها،وساروا حتى وصلوا إلى" طرابلس" التي غنموا فيها من الروم وأكملوا سيرهم[3]،وكانت "طرابلس" قد نقضت عهدها مع المسلمين بعد فتح عمرو بن العاص لها فلم يطل المكوث فيها عبد الله بن سعد وذلك لأن مراده التوغل نحو إفريقيا وكذلك الأمر عند بلوغه" قابس"* التي تحصنت[4] بل واصل المسير وقام ببث السرايا في جميع النواحي كما يذكر ابن خلدون:«**وبثوا السرايا في كل ناحية**[5]»،وأكمل المسير حتى وصل المكان المسمى بعقوبة*[6].

ولما بلغ قائد البيزنطيين الذي سماه المؤرخون المسلمون "بجرجير"(جريجوار)خبر قدوم عبد الله بن سعد تجهز له وجمع من جنده ومن أهل البلد حتى بلغ عدد ما جمعه

---

[1]-حسين مؤنس،الرجع السابق،ص83.

[2]- ابن عذارى،المصدر السابق ،ج1،ص32.

[3]- عز الدين ابن الأثير،المصدر السابق،ج2،ص483.

[4]–محمد زيتون،المسلمون في المغرب والأندلس،الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية،الاسكندرية،د:ط،1990ص18.

[5]- عبد الرحمن ابن خلدون ،المصدر السابق،ج2،ص574.

*_عقوبة:موقع بينه وبين سبيطلة يوم وليلة.(أنظر:محمد زيتون،المسلمون في المغرب والاندلس،ص20.)

[6]-البلاذري،المصدر السابق،ص318.

من الجند مائة وعشرون ألف جندي[1]وهنا نجد إشارة إلى أن القائد البيزنطي جرجير لم يكن غافلا عن الأحداث السابقة ضمن مناطق نفوذه التي تزحف فيها جيوش المسلمين مقلصين بذلك حدود نفوذه في الشمال الإفريقي بل كان متفطنا متابعا للأحداث ودليل ذلك تجهزه لملاقاة عبد الله بن سعد وتحصينه لطرابلس وقابس.

قام المسلمون بتغيير خطتهم العسكرية القديمة التي كانت تقوم على فتح الحصون،واتبعوا خطة جديدة تقوم على إجبار الجيش البيزنطي على الخروج من الحصون التي أصبحت صعبة الفتح بعد التحصينات التي قام بها البيزنطيين إلى أماكن مكشوفة،[2] ولتنفيذ هذه الخطة قد ذكرنا أن عبد الله بن سعد بعث السرايافي كل ناحية، إن ترك المسلمين يغنمون في كل ناحية والجيش البيزنطي داخل الحصون يؤدي إلى خراب البلاد،هذا الأمر الذي أرغم "جرجيريوس" على الخروج من "سبيطلة"لملاقاة المسلمين[3]،وعندها قامت مراسلات (مفاوضات)بين "جرجيريوس" و"عبد الله بن سعد" هذا ما اتفق عليه "اليعقوبي"[4](ت278هـ) و"ابن خلدون"[5](ت808هـ) وكذلك"النويري"،وكان فحوى المراسلات أن عبد الله بن سعد عرض على "جرجيريوس"الإسلام أو الجزية.

وهذه رواية النويري حول المفاوضات إذ يقول:«**قال...أقمنا أياما تجري بيننا وبينهم الرسل:ندعوه إلى الإسلام،وهو يستطيل ويتجبر وقال:لا أقبل هذا أبدا،فقلناله:فخراج**

---

[1]–عز الدين ابن الأثير،المصدر نفسه،ج:2،ص483.

*_ وهنا نجد إشارة إلى أن القائد البيزنطي جرجير لم يكن غافلا عن الأحداث السابقة ضمن مناطق نفوذه التي تزحف فيها جيوش المسلمين مقلصين بذلك حدود نفوذه في الشمال الإفريقي بل كان متفطنا متابعا للأحداث ودليل ذلك تجهزه لملاقاة عبد الله بن سعد وتحصينه لطرابلس وقابس.

[2]-رمضان عبد العظيم،المرجع السابق،ص58.

[3]-رمضان عبد العظيم ،المرجع نفسه،ص58.

[4]ا–ليعقوبي ،المصدر السابق،ص60.

[5]-عبد الرحمن ابن خلدون،المصدر السابق،ج:2،ص574.

[5]–أحمد النويري،المصدر السابق،ج:24،ص6.

تخرجه كل عام،فقال:لو سألتموني درهما واحدا لم أفعل،فتأهبنا للقتال بعد الاعذار[1]»ومن هذه الرواية يمكن أن نتوصل إلى أنه بانتهاء المفاوضات دون حل سلمي كان الحل الوحيد القتال فالدبلوماسية السياسية لم تنجح في هذا الموقف رغم محاولة عبد الله بن سعد اتباع الطريقة السياسية الإسلامية التي كانت تغني الطرفين من القتال والتي نجحت في غير موضع إلا أن في هذا الموضع العلاقات السياسية لم تنجح وفرضت العلاقة العسكرية حضورها .

بعد فشل التفاوض استعد كل من "عبد الله بن سعد""وجرجيريوس" للقتال فعبأ كل منهما ميمنته وميسرته وقلب الجيش وتلاقى الجمعان[2]،إلا أن القتال لم يكن قتالا حاسما بين الطرفين بل كان شبه محتشم وذلك لاحتراز عبد الله بن سعد من كثرة تعداد البيزنطيين،وكذالك احتراز جرجيريوس من المسلمين لسيرتهم القوية في المشرق،فكان الاشتباك إلى وقت الظهيرة ثم يعود الجيشان إلى معسكريهما إلى اليوم التالي [3]

وخلال ذلك جاء "عبد الله بن الزبير"[*] بالمدد فغير الخطة الحربية،وهنا يورد المؤرخون روايات عن قصة ابنة جرجيريوس،هذه القصة أوردها "ابن خلدون"[4] وكذلك أوردها "ابن عذارى" الذي يختلف مع "النويري"،حيث أن "ابن عذارى" ذكر أن عبد الله بن سعد دخل فسطاطه مفكرا في أمر تردد المسلمين[5] أما "النويري" فقد صرح أن عبد عبد الله بن سعد قد خاف لما سمع منادي البيزنطيين[6]وهذه الرواية مشكوك في أمرها لأن عبد الله بن سعد شهد العديد من المعارك وكان صاحب ميمنة عمرو بن العاص

---

[1]-أحمد النويري،المصدر السابق ج:24،ص6.

[2]-أحمد النويري ،المصدر نفسه،ج:24،ص6.

*_عبد الله بن الزبير:أول مولود بعد الهجرة،أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ،وهو أول من كسا الكعبة،قام بغزوة إفريقيا مع ابن سرح وقتل جرجير.(أنظر:عبد الله المالكي،المصدر السابق،ج:1،ص64.)

[3]-رمضان عبد العظيم،المرجع السابق،ص58.

[4]-عبد الرحمن بن خلدون،المرجع السابق،ج:2،ص574.

[5]-ابن عذارى،المصدر السابق،ص10.

[6]–أحمد النويري،المصدر السابق،ج:24،ص7.

الرجـــــــــل الشـــــــــجاع الـــــــــذي لا يهـــــــــاب المـــــــــوت

ولما أراد عبد الله بن الزبير تغيير خطة المعركة فقام بعرض لأمر على عبد الله بن سعد وشاور الصحابة في خطته الجديدة فوافق عبد الله بن سعد والصحابة عليها، وهذه الخطة كانت تقضي ببقاء بعض الشجعان في المعسكر، وأن يقوم الباقين بقتال البيزنطيين حتى الظهيرة ويعود كل طرف لمعسكره عندها يهم الشجعان ومعهم عبد الله بن الزبير على معسكر العدو وفعلوا ذلك وقتل ابن الزبير جرجيريوس وأخذت ابنته سبيه وألحق بالبيزنطيين الهزيمة[1]،(أنظر:الملحق موقعة سبيطلة)

بمقتل جرجيريوس انهزم البيزنطيون، وهرب الجيش وتمزق، فتبعهم المسلمون على خيولهم إلى حصن سبيطلة وقاموا بالإسراع نحو البوابة وبذلك حالوا بين الحصن والفلول الهاربة مانعين إياهم من الدخول،ثم طاردوهم في السهول والجبال وقتلوا منهم الفرسان وأسروا منهم العدد الكثير[2].

ثم قام ابن ابي سرح بحصار سبيطلة ففتحها وغنم منها الشيء الكثير وقام بتوزيع الغنائم فكان نصيب الفارس ثلاثة ألاف دينار ونصيب الراجل ألف دينار[3]. بعد فتح سبيطلة بعث عبد الله بن سعد السرايا إلى القصور، والحصون فغنموامنها الكثير والغالب أن هذه الواقعة أرعبت فقد أرعبتالروم ما جعلهم يحتمون بالحصون والمعاقل، ثم فاوضوا عبد الله بن سعد على أن يدفعوا ثلاثمائة قنطار من الذهب السنة جزية مقابل أن يخرج من بلادهم فقبل[4]،

ثم قام عبد الله بن سعد ببعث عبد الله بن الزبير إلى الخليفة ليحمل له البشارة،

---

[1]-شمس الدين الذهبي،المصدر السابق،ج:2،ص177.

[2]-ابن عذاري،المصدر السابق،ج:1،ص11.

[3]-عبد الرحمن ابن خلدون،المرجع المصدر السابق،ج:2،574.

[4]-ابن عذارى،المصدر نفسه،ج:1،ص12.

بعدها عاد إلى مصر بعد أن أمضى خمسة عشر شهرا في إفريقيا.[1](أنظر الملحق مخطط لمدينة سبيطلة)

[1]-أحمد النويري ،المصدر السابق،ج:24،ص9.

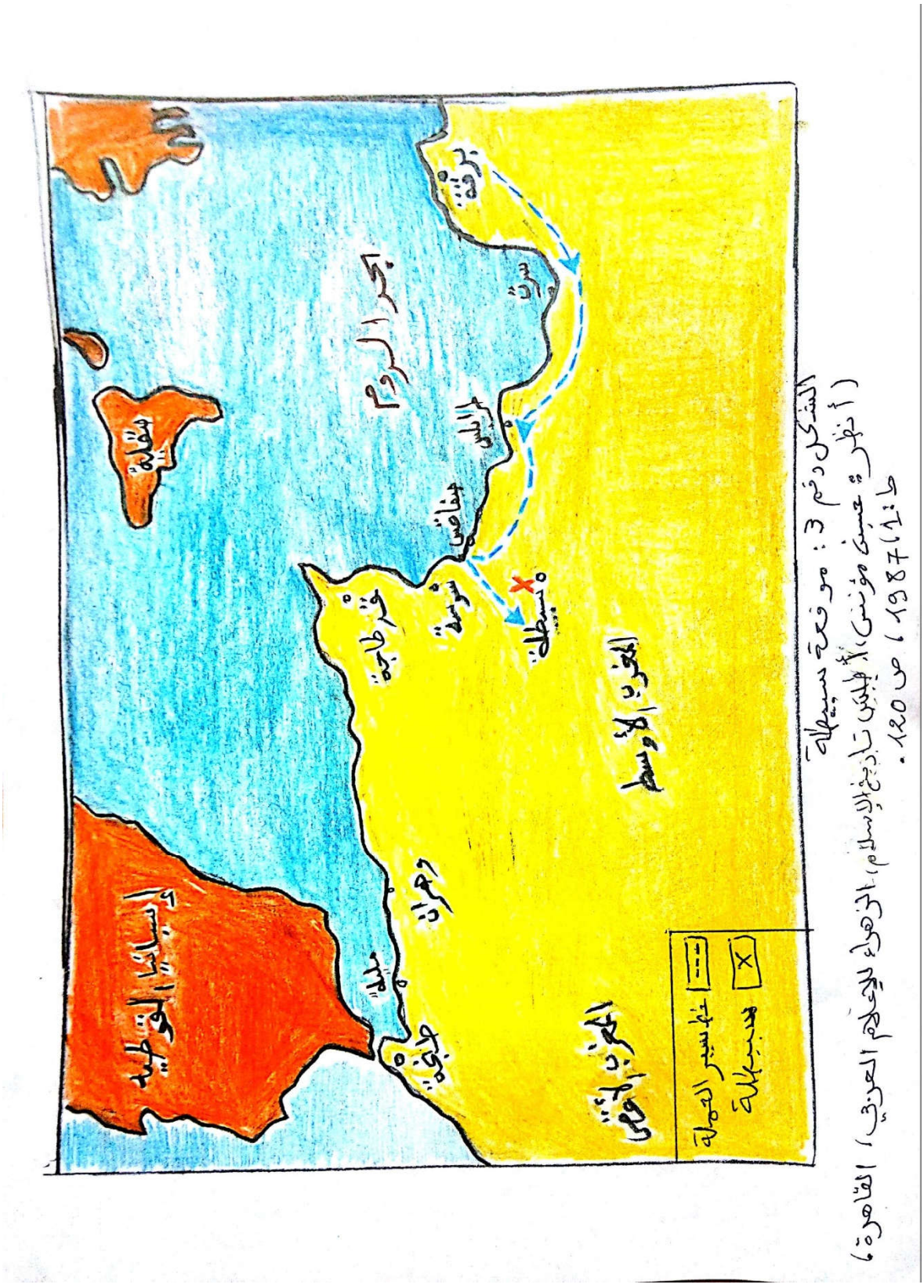

الشكل رقم 3 : موقعة سبيطلة
(أنظر : حسن مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1987، ص 120 .

إلا أن عبد الله بن سعد بعد ما وصل إليه من فتوح لم يترك حامية في إفريقيا بعد مغادرته،هذه الهفوة جعلت من إمكانية عودة البيزنطيين واردة،بالإضافةإلىأن مهمة الفاتحين القادمين من بعده ستكون صعبة لأنهم سيدخلون البلاد كأن لم تفتح من قبل،وفاتحا كما ذكرنا المجال للبيزنطيين بالتفكير في استرداد ما ضاع منها. **المبحث الثالث:العلاقات على عهد معاوية بن حديج 40هـ**

قام عبد الله بن سعد بالقضاء على البطريق البيزنطي جرجيريوس فاتحا بذلك لجزءا كبير من إفريقياوعاد إلى مصر،ليعود البيزنطيين إليها وتعود علاقات المسلمين والبيزنطيين بالمنطقة في هذا الوقت فبرز قائد آخر من القادة المسلمين وهو "معاوية بن حديج"*،الذي سنستعرض دوره في العلاقات ضمن هذا المبحث.

المطلب الأول:عودة البيزنطيين للمغرب عاد عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى مصر بعد ما قام به من فتوح في إفريقيا وقضائه على البطريق البيزنطي جرجيريوس،بعدها انشغل المسلمون بأحداث "الفتنة" التي مات فيها عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين وما تبعها من أحداث[1]. وللفتنة أثر بالغ في سير الفتوحات الإسلامية ،فلا يمكن أن يقدم القادة المسلمين على الفتوح وهم على علم بأن الدعم والمدد لن يلحقهم في مواطن الفتح،حتى أن بعض القادة الذين كانوا على جبهة القتال عادوا إلى مقر الخلافة لدعم الطرف الذي يناصرونه[2]

أي مشاركين في الأحداث التي كادت أن تعصف بالدولة الإسلامية،ودليل ذلك توقف الفتوح طيلة السنوات الخمس التي كانت أحداث الفتنة تجري فيها(35هـ-40هـ)[3]

*-معاوية بن حديج:معاوية بن حديج بن جفنة بن قتيرةالتجيبي الكندي أبو عبد الرحمن،أحد أمراء معاوية بن ابي سفيان على مصر،له صحبة ورواية .(أنظر: شمس الدين الذهبي،المصدر السابق،ج:2،ص539.)

[1]-أحمد النويري ،المصدر السابق،ج:24،ص9.

[2]-حسين مؤنس،المرجع السابق،ص110.

[3]-حسين مؤنس،المرجع السابق،ص110.

في هذا الوقت حاول البيزنطيين استعادة ماضاع منهم في إفريقيا، وذلك أنه لما سمع "هرقل" بما صنع أهل افريقيا،أي أنهم قاموا بإبرام صلح مع قائد المسلمين عبد الله بن سعد ابن أبي سرح ودفعهم له مبلغا كبير من المال غضب عليهم وبعث إليهم بطريقا يأخذ منهم مثلما أخذ عبد الله بن سعد بن أبي سرح منهم [1].

نزل "البطريق نقفور" في إفريقيا وجمع أهلها وطلب منهم أن يدفعوا له نفس المبلغ الذي دفعوه للمسلمين،فكان رد أهل إفريقيا بالرفض وردوا عليه بقولهم«**الذي كان بأيدينا من الأموال فدينا به أنفسنا** [2]»،وأيضا أورد ابن خلدون قول آخر لأهل إفريقيا حيث يقول «**كان ينبغي أن يساعدنا مما نزل بنا**[3]» وهنا يمكن القول أن أهل إفريقيا لم تكن لهم الرغبة في الرجوع تحت السيطرة البيزنطية،لما امتنع أهلها عن دفع ما طلبه منهم البطريق البيزنطي قام بقتالهم،وقد كانوا قد ولو عليهم رجل آخر من الروم حاكما بعد قضاء المسلمين على جرجير [4].

أثناء ذلك تمكن البطريق من هزيمة أهل إفريقيا وطرد حاكمهم الذي توجه إلى الشام. وقد استقر أمر الخلافة بعد الفتنة إلى"معاوية بن أبي سفيان" بعد أحداث كثيرة جرت بين كبار الصحابة،فلما أقبل عليه ذكر له ما جرى من أحداث في أفريقيا مستنجدا بالمسلمين ضد البيزنطيين طالبا منه توجيه جيش ليقوم بغزو إفريقيا[5].

وهنا نرى أنه من الطبيعي أن يستنجد أهل إفريقيا بالمسلمين ذلك لما ذكره حسين مؤنسمن أن الدولة البيزنطية كانت بحاجة ماسة للأموال فنجده يقول:«**كانت**

---

[1]-عبد الرحمن ابن خلدون،المرجع السابق،ج:2،ص575.

[2]-أحمد النويري،المرجع السابق،ج:24،ص09.

[3]-عبد الرحمن ابن خلدون،المرجع السابق،ج:2،ص575.

[4]-عبد الرحمن ابن خلدون ،المصدر نفسه،ص575.وأنظر:أحمد النويري:المصدر نفسه،ج:24،ص9.

[5]-عز الدين ابن الأثير،المصدر السابق،ج:2،ص485

تقاسي إذ ذاك عوزا مالياشديدا» حيث أنها أرهقت ولاياتها بالضرائب وأرادت بإفريقيا المثل[1] .

وهذا لحاجتها لإعادة بعث قوتها بعد أن أرهقت في المواجهات بالمشرق بالإضافة للمغرب، ناهيك عن المشاكل الدينية التي كانت حجر عثرة في طريق الحكام البيزنطيين الذين حاولوا حلها دون جدوىما جعل أهل إفريقيا يفضلون المسلمين على البيزنطيين الذين قسو عليهم بكثرة .

المطلب الثاني:غزوة معاوية بن حديج: وافق الخليفة "معاوية بن أبي سفيان"* على طلب الرومي المستنجد،وقام بتوجيه معاوية بن حديج إلىإفريقيا في جيش كثيف[2]،انطلق معاوية بن حديج بالجيش حتى وصل مصر فهلك الرومي[3].

وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ غزوة معاوية بن حديج في إفريقيا فعلى سبيل المثال نجد أن "ابن عبد الحكم قد ذكر" أن معاوية بن حديج قد غزى إفريقيا ثلاث غزوات حيث يقول:« **كان معاوية بن حديج هذا،قد غزا إفريقيا مرات ثلاث:الأولى كان معجيش سنة 34هـ، الثانية كان الجيش بقيادته سنة 40هـ وأما الثالثة فبقيادته أيضا وكانت سنة 46هـ**[4]وما ذكره ابن عبد الحكم قد وجد أيضا لدى أكثر المؤرخين "المغاربة"* ويغلب أنهم نقلوها عنه لورود عبارته بالنص في رواياتهم[5]. رواياتهم[5]. لكن المتتبع للوقائع التاريخية يجد أن هذه التواريخ فيها نوع من الشك ما ما عدى التاريخ الأخير(46هـ)،وذلك لأن معاوية بن حديج جاء تعيينه في إفريقيا

---

[1]-حسين مؤنس،المرجع السابق،ص115.

*-معاوية بنابي سفيان صخر بن حرب بن أمية،القرشيالأموي،روى عن النبي وابي بكر وعمر،أخته أم المؤمنين أم حبيبة،من كتبة الوحي(أنظر:شمس الدين الذهبي،المصدر السابق،ج:2،ص540.وأنظر:أحمد اليعقوبي،المصدر السابق،ج:2،ص،ص123،122.)

[2]-ابن عذارى،المصدر السابق،ج:3،ص17

[3]-عبد الرحمان ابن خلدون،المصدر السابق،ج:2،ص575

[4]-ابن عبد الحكم،المصدر السابق،ص46.

*-نذكر منهم:عبد الله المالكي،المصدر السابق،ص4،ونذكر أيضا،ابنابيدينار،المصدر السابق،ص34.

[5]-حسين مؤنس،المرجع نفسه،ص115.

كجزاء جراء موقفه أيام الفتنة حيث كان من أنصار معاوية الذي بعد أن استقر له الأمر عينه على إفريقيا.

ويذهب فريق آخر من المؤرخين الى أن غزوة معاوية بن حديج كانت في سنة 45هـ[1]،وهذا هو الطرح الأصح وذلك لأن معاوية لن يكون له الوقت الكافي ليستقر في أمور الخلافة إلا بعد سنة 41هـ،فمن غير المعقول أن يسير حملات للغزو وأمور خلافته لم تنظم بعد .

خرج معاوية بن حديج من مصرا في عام 45هـ على رأس حملة تتكون من عشرة آلاف جندي قصد فتح إفريقيا[2] وخرج معه في هذه الحملة جمع من الصحابة والتابعين وشارك في الحملة أشراف من جند مصر[3]،وكان مسيره قرب الساحل [4]حتى وصل إلىإفريقيا وكانت تضرم نارا[5] فنزل قمونية[6*]

وكان قد بلغ البيزنطيين أن معاوية بن حديج قصد إفريقيا للفتح،فأرسل الدعم إلى إفريقيا بقيادة بطريق اسمه نقفور * لينزل إفريقيا ويتقدم ليلاقي العرب، ولم يكد يستقر معاوية بن حديج في قمونية حتى سمع بنزول الجيش البيزنطي بإفريقيا فتقدم للقائه[7]، وقد كان في سفح جبل أصابه به مطر فقال:«**إن جبلنا هذاالممطور**» فسمي

---

[1]-شمس الدين الذهبي،المرجع السابق،ج2،ص388.وأنظر:عبد الله المالكي،رياض النفوس وطبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونسائهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم،ج:1،تح:بشير البكوش،دار العرب الاسلامي ،بيروت، ط:2،1994،ص28.وأيضا:محمد ابن أبي دينار،المرجع السابق،ص24.وأنظر:ابن عذاري،المرجع نفسه،ج:3،ص17.

[2]-رمضان عبد العظيم،المرجع السابق،ص77.

[3]-عبد الله المالكي ،رياض النفوس،ج1،ص28.

[4]-رمضان عبد العظيم،المرجع نفسه،ص77.

[5]-ابن عذارى ،المصدر السابق،ج:3،ص17.وأنظر:عز الدين ابن الأثير،المصدر السابق،ج:3،ص35.

*_قمونية:عرفها ابن عبد الحكم:أنها موضع قيروان افريقية.(أنظر: ابن عبد الحكم ،المصدر السابق،ص261.)

[6]-عبد الرحمن ابن خلدون،المصدر السابق،ج:2،ص575.

*-نقفور:شخصية بيزنطية في عهده غزا هارون الرشيد آسيا الصغرى، فهزم نقفور وأكرهه على دفع الجزية مقداوها ثلاثون ألف قطعة ذهبية سنويا ، وقاتل البلغار عام 811م وقتل في ميدان المعركة .(أنظر: منير البعلبكي ،المرجع السابق ، ص 457.)

[7]-حسين مؤنس،المرجع السابق،ص119.

الجبل ممطور.

ثم قال:«**اذهبوا بنا إلى ذلك القرن**» فسمي الجبل أيضا القرن[1]واختلف المؤرخون في مواجهة معاوية للبيزنطيين فيما إذا كان على رأس المقاتلين، أم بعث بمن ينوب عنه،فمنهم من يقول أن معاوية هو واجههم وفي ذلك يقول ابن خلدون:« **وقاتلهم معاوية فهزمهم**»[2] ومنهم من يقول أنه بعث بخيل ولم يلاقهم بنفسه،وهذا ما ذكره ابن عذارى الذي يقول:«**فبعث ابن حديج إليه عبد الله بن الزبير،فقاتله فأقلع منهزما في البحر**[3]»ولكن يتفق المؤرخون على أن المسلمين ألحقوا الهزيمة بالبيزنطيين.

وبعد انتصار معاوية بن حديج على البيزنطيين قرب حصن الأجم أرسل على أعقابهم عبد الله بن الزبير الذي أدركهم" بسوسة" أين لبثوا فترة هناك فناوشهم مناوشة خفيفة،وأقلعوا بعدها في البحر،ثم استولى عبد الله بن الزبير على" سوسة"** وغنم منها ثم عاد أدراجه إلى معسكر معاوية بالقرن[4]. أما عن مجريات المعركة التي دارت قرب حصن الأجم فلا تتوفر لدينا معلومات كافية،ثم سار معاوية إلىجلولاءفكان يقاتل أهلها على الباب من أول النهار حتى تقع الضلال فيرجع إلى معسكره ويروي "النويري" أن "عبد الملك بن مروان"**** « **نسي قوسه معلقا بشجرة فرجع ليأخذه فإذا بجانب من صور المدينة يتهدم،فصاح عندها رجع الناس وفتحوها بعد اقتتال شديد**[5]»

ويوجد قول بأن معاوية لم يذهب بنفسه في فتح "جلولاء" بل بعث بعبد الملك بن مروان حيث استعصت عليه حتى أنه أطبق راجعا،فإذا بصور المدينة يتهدم منه جزء ففتحوها[6]،والمهم أن معاوية بن حديج من فتح "سوسة""وجلولاء" رغم عدم خوضه

---

[1]-أحمد النويري ،المصدر السابق،ج:24،ص10.

[2]-عبد الرحمن ابن خلدون،المصدر السابق ،ج:2 ،ص575.

[3]-ابن عذاري،المصدر السابق،ج:3،ص17.

[4]–حسين مؤنس ،المرجع السابق،ص121.

[5]-أحمد النويري ،المصدر السابق،ج:10،24.

[6]-ابن عبد الحكم،المصدر السابق،ص261.

لمعارك فاصلة وذلك يوضح أثر حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح،وظهور ميل الإفريقيين لوجود المسلمين فيها كما بدأت تظهر فكرة إيجاد مصر إسلامي في إفريقيا.[1]

[1]-محمد زيتون، المرجع السابق،ص25.

الفصل الثالث :العلاقات بعد الفتح المنظم (50_80هـ/670_700م)

المبحث الأول:على عهد عقبة بن نافع الفهري (50_63هـ/670_683م)

المطلب الأول :بناء قاعدة القيروان

المطلب الثاني:عودة عقبة بن نافع الى ولاية إفريقية

المطلب الثالث :استكمال الفتوحات في المغرب

المطلب الرابع:عقبة وموقعة تهودة

المبحث الثاني: على عهد أبي المهاجر دينار(55_62هـ/675_682م)

المطلب الأول:أبي المهاجر وسياسة التفاوض والصلح في المغرب

المطلب الثاني:أبي المهاجر وحركت كسيلة

المطلب الثالث :أبو المهاجر وحصار قرطاجة

المبحث الثالث:على عهد زهير بن قيس البلوي (682_689م)

المطلب الأول:استرداد القيروان من يد كسيلة

المطلب الثاني : المغرب بعد موقعة ممس

المطلب الثاث:خروج زهير من القيروان إلى برقة

المبحث الرابع:على عهد حسان بن النعمان (55_62هـ/

المطلب الأول تكليف حسان بن النعمان بولاية إفريقيا

المطلب الثاني:زحف حسان بن النعمان الى المغرب

المطلب الثالث: حسان يعاود الحملة على إفريقيا

المطلب الرابع:فتح قرطاجة والقضاء على البيزنطيين

الفصل الأول:العلاقات بعد الفتح المنظم(50/80هـ . 670/700 م):أخذت علاقات القادة الفاتحين بالبيزنطيين في بلاد المغرب طابعا آخر،أفرزته مستجدات جديدة كان لها دور فعال في تغير تلك العلاقات،ولدراسة هذا الفصل ،استقر رأينا أن نقسمه إلى أربعة مباحث رئيسية ، فبدأنا في المبحث الأول بالعلاقات على عهد عقبة ،

وفي المبحث الثاني تعرضنا إلى العلاقات،على عهد أبي المهاجر وفي المبحث الثالث تحدثنا عن العلاقات على عهد زهير بن قيس البلوي وفي المبحث الرابع تتبعنا العلاقات على عهد حسان بن النعمان.

المبحث الأول:على عهد عقبة بن نافع الفهري(50/63هـ . 670/683 م):

يبدأ الفتح المنظم بتأسيس عقبة لمدينة"القيروان"،ويشمل عهد عقبة ولايتين،وقد قسمنا هذا المبحث إلى أربعة مطالب بناء قاعدة"القيروان"،وعودة عقبة إلى إفريقية للولاية الثانية،واستكمال الفتوحات في المغرب وموقعة"تهودة"،التي تمثل استشهاد عقبة.

المطلب الأول: بناء قاعدة القيروان : وتزامن بناء هذه القاعدة مع الولاية الأولى "لعقبة بن نافع* " على إفريقية،وفي هذا الشأن يذكر حسين مؤنس أن المؤرخين مثل: ابن الأثيرو ابن عذاريوالنويري ، قد اتفقت آراؤهم على أن" معاوية بن أبي سفيان" ** ،أقر عقبة بن نافع واليا على إفريقيا سنة 50 هـ/670م، ويؤيد ذلك المؤرخون البيزنطيون. [1]

* –عقبة بن نافع الفهري : قائد عربي يعد أحد أبرز القادة العسكريين في الإسلام ،والمؤسس الحقيقي للحكم العربي في إفريقية الشمالية،بنى مدينة القيروان ،توفي سنة 63هـ/683م.انظر:(منير البعلبكي،المرجع السابق،ص 287).

** –معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :(20 ق هـ/ 60 هـ . 603 /680 م)،مؤسس الدولة الأموية في الشام ولد بمكة وأسلم يوم فتحها،08 هـ ،وأول مسلم ركب بحر الروم للغزو،وأول من نصب المحراب في المسجد،وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه،إذا نظر إليه يقول: هذا كسرى العرب. (انظر:أحمد اليعقوبي، المصدر السابق،المصدر السابق،ج2، ص، ص 122 ، 123).

[1] –حسين مؤنس،المرجع السابق،ص 138 .

ويؤكد هذا ما وقفنا عليه في إثبات هذا التاريخ ، من خلال مطالعتنا، عند كل من هؤلاء وعند غيرهم من المؤرخين[1] .

خرج عقبة ومعه عشرة آلاف فارس إلى إفريقية، وانضم إلى جيشه مسلمة البربر، فقد سار متخذا سياسة الحيطة والحذر،ومتجنبا لقاء البيزنطيين وسلك طريقه داخل البلاد،بعيدا عن ساحل البحر،الذي تتواجد فيه المحارس والحصون البيزنطية ، وكانت هذه الحملة مباغتة لأهل إفريقية، فأصاب منهم الكثير بحد السيف[2] .

وهذا ماجاء عند ابن عذاري:<< **فافتتحها ودخلها ووضع السيف في أهلها فأفنى من بها من النصارى.**>> [3]

يتبين لنا أن عقبة بن نافع، اعتمد على سياسة الشدة والقوة اتجاه البيزنطيين،وانتهج مباغتة العدو بهذه الحملة المفاجئة،كما نجده في موضع آخر يعمل بالحيطة في تحديد موقع بناء مدينة "القيروان"، فهذه المدينة التي أرادها أن تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر،فلما اقترح عليه أصحابه تقريبها من البحر ليتم لهم الجهاد والرباط في آن واحد،اعترض عليهم قائلا : <<**إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية.**>>[4].

---

[1]–فنجد عند ابن عذاري أن معاوية قد أقر عقبة على إفريقية سنة 50 هـ/670 م ونجد أيضا النويري يقول : << **ثم أرسل معاوية بن أبي سفيان عقبة بن نافع إلى إفريقية سنة خمسين**>>،ويقول ابن الأثير:<< **والذي ذكره أهل التاريخ من المغاربة أن ولاية عقبة بن نافع إفريقية كانت هذه السنة . سنة 50 هـ . وبنى القيروان**>> ، ونجد اليعقوبي يذكر:<<**ووجه معاوية عقبة بن نافع الفهري إلى إفريقية فافتتحها واختط قيروانها وبناه،وكان ذلك وضع دغل وحلفاء،تنزله الأسد،وكان ذلك سنة50**>>،(انظر :محمد بن عذاري،المصدر السابق،ج:1 ،ص19) ،وأيضا(انظر : شهاب الدين أحمد النويري،المصدر السابق،ج:24،ص11)و(انظر :عز الدين بن الأثير،المصدر السابق،ج3،ص320) وانظر كذلك(انظر : أحمد اليعقوبي،المصدر السابق،ج:2 ،ص، ص 138 ، 139) .

[2]–حسين مؤنس، المرجع السابق،ص، ص 138 ،139 .

[3]– محمد بن عذاري ،المصدر نفسه، ج:2، ص 19.

[4] –عبد الله المالكي،المصدر السابق،ج1، ص ص10 ،11. (انظر: محمد الحميري ،المصدر السابق ،ص486). أيضا (انظر: محمد بن عذاري ، المصدر نفسه،ج1،ص19).

ووقع اختيار عقبة على موضع بين الساحل والهضبة ،القريب من المراعي ،حتى أن حسين مؤنس يقول أن كودل قد أعجب باختيار عقبة لموقع اختطاط "القيروان" فقد قال:<< **فقد كان اختيار المكان موفقا ، بل بلغ من التوفيق في اختياره أن ولاة المغرب،ومن خلفهم من الولاة المستقلين أقاموا بها زمنا طويلا.**>>.[1]

فقام عقبة بتشييد هذه المدينة، فاختط دار الإمارة والجامع الأعظم،ولم يحدث فيه بناء، وحدد قبلته، ثم أخذ الناس في بناء الدور والمساكن والمساجد، وتم تعميرها.[2]

وتم بناؤها سنة 55هـ/675 م، ولم يبذل الروم أي جهد أو هجوم لإيقاف عملية البناء وهذا ما أكده ديهل .[3]

وكان أثناء عملية البناء يبعث بالسرايا والغارات للحصول على الأسلاب والغنائم.[4]

ومن هنا يتبين لنا أكثر فأكثر سياسة القوة، التي انتهجها عقبة ضد البيزنطيين، ولعل هذه الهجمات السريعة هي التي أثارت سخط فئة من المؤرخين الغربيين الذين نسجوا مذبحة شنيعة نزلت بالمسيحيين في إفريقية آنذاك.[5]

المطلب الثاني:عودة عقبة بن نافع إلى ولاية إفريقية:تشير معظم المصادر إلى أن مسلمة بن مخلد الانصاري الذي ولي أمر مصر وإفريقية، فعزل عقبة عن إفريقية واستبدله،بأبي المهاجر دينار وذلك سنة 55هـ/675 م غير أن الخليفة يزيد بن معاوية، قام بإعادة عقبة سنة 62هـ/682 م إلى ولاية إفريقية ،وقدم"القيروان" في عشرة آلاف فارس، فجدد بناء "القيروان" وأعاد الناس إليها، مستخلفا عليها عمر بن علي القرشي،وزهير بن قيس البلوي.[6]

---

[1] –حسين مؤنس ، المرجع السابق،ص 143 .

[2] –شهاب الدين أحمد النويري، المصدر السابق، ج: 24 ، ص، ص 12 ، 13.

[3] – dihel,op, cit,p 573.

[4]– عز الدين بن الأثير،المصدر السابق ، ج:3، ص 320.

[5] –حسين مؤنس ، المرجع السابق، ص 146.

[6] عبد الله المالكي ، المصدر السابق،ج:1، ص 34.

ونجد هنا أن أول أمر قام به هو تأمين معقله، فهو يحرص أشد الحرص على أسلوب الحيطة والحذر، فهولا يأمن جانب البيزنطيين المتحصنين"بقرطاجنة" ولأنه يدرك العواقب التي هو مقبل عليها،ويقول الرقيق القيرواني، أنه مضى بجيوشه من"القيروان" مجاهدا في فتح البلاد، فزحف بجموعه متحفزا للقتال والغزو في سبيل الله [1]، وخير دليل في ذلك ،قوله لأولاده:<< **إني بعت نفسي إلى الله . عز وجل . وعزمت على من كفر حتى اقتل فيه**>>.[2]

ويبدو لنا من هذا الكلام أن عقبة استمر حتى في ولايته الثانية، في سياسته القائمة على القتال والجهاد باستخدام القوة والشدة اتجاه خصومه البيزنطيين' وهذا ما يذكره ابن عذاري أنه مضى بجيشه غازيا للروم والبربر،فتحرك شطر" المنستير" * وكانت هذه البلدة من أعظم مدائن الروم، فخرج إليه أهلها فقاتلهم قتالا شديدا ، وأخذ غنائمهم .

ثم أنه حاصر قرطاجنة، فقاتل الروم وهزمهم،وأخذ من سبيهم، ثم زحف ناحية الغرب، باتجاه جبال الأوراس وطوق حصن "باغاية" **،وكان يحتمي به عدد كبير من الروم والبربر،فقاتلهم وغنم المسلمون من سبيهم،وخيلهم الشيء الكثير*، وهذا ما أورده المالكي،بقوله:<< **ثم سار لا يدافعه أحد حتى انتهى إلى باغاي، والروم يهربون من طريقه يمينا وشمالا فحاصرها وقد اجتمعوا بها،فقاتلهم قتالا شديدا،ثم انهزم العدو فقتلهم قتلا ذريعا وغنم أموالهم.**>> .[4]

---

[1]– إبراهيم الرقيق القيرواني،تاريخ إفريقية والمغرب،تحقيق،محمد زينهم محمد عزب،دار الفرجاني،القاهرة، ط1، 1994، ص 41.

[2]– محمد بن عذاري ، المصدر السابق،ج:1 ، ص 23.

*– المنستير:من محارس سوسة بإفريقية وهو حصن عالي البناء(محمد الحميري،المصدر السابق،ص551)

**– باغاية:هي مدينة عظيمة تحت جبال الأوراس،(انظر:مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق،ص 163) .

[4] –عبد الله المالكي ، المصدر السابق،ج:1،ص 35.

فعقبة العائد إلى إفريقية هو غير عقبة الذي أسس"القيروان"، وكان في حملته الأولى يتفادى ملاقاة البيزنطيين،فهاهو نراه مندفعا بحماسه الفياض للجهاد،وقتال الروم.

وأيضا يذكر النويري الغارات التي شنها عقبة على مدينة "لميش" *وهي من أعظم مدن الروم فتحصنوا بها ، ثم خرجوا إليه ليقاتلوه،واشتد القتال بينهم، فهزمهم وأدركهم إلى باب حصنهم، وظفر بغنائم كثيرة[2].

من أخبار هذه المواقع نرى أن عقبة لم يغير من نهجه مستعملا القوة والبطش الشديد اتجاه خصومه، خصوصا لما نجد أن ابن عذاري ينقل لنا أنه اجتاح مدينة "المنستير"، المذكورة آنفا وأنه غزاها مرتين، وأسرف في قتل هؤلاء البيزنطيين، وهذا ما يفسر قوله:<<**فقاتلهم قتالا شديدا، حتى ظن أنه الفناء**>>، وقوله:<< **وقتلوا تقتيلا ،ولم يعهد مثله**>>. [2]

إذن إننا لا نرى أثرا لمعاملة اللين والصلح، بل نجد الشدة والغلظة، وهذا لا يعني أن عقبة كان همه فقط القتال، وأنه قد شطط في فتوحاته وحاد عن المقصد الأسمى منها وهو نشر عقيدة الإسلام .

فلا شك أنه قد كان يعرض الإسلام أولا، ثم الجزية قبل إشهار السيف على الكفار من أهل الأمصار،وهذا ما يؤكده البلاذري عن عقبة في فتوحه في "برقة" و"زويلة" **، لما أقره معاهدو أهالي هذه البلاد على إعطاء الجزية، وقد صالح كل من طلب الصلح. [3]

---

* –لميش:الغالب أن اسم لميش يطلق على الحصن الروماني المعروف،وقد أخطأ النساخ فكتبوها "لميش" (انظر : حسين مؤنس ، المرجع السابق، ص 188).

[1]– شهاب الدين أحمد النويري ، المصدر السابق،ج:24 ،ص 14.

[2]– محمد بن عذاري ، المصدر السابق ،ج:1 ،ص 24.

**–زويلة: مدينة كبيرة قديمة في الصحراء بالقرب من بلاد السودان .(انظر:محمد الحميري،المصدر السابق،ص126)

[3] –أحمد البلاذري ، المصدر السابق، ص 315 .

المطلب الثالث: استكمال الفتوحات في المغرب :ويواصل عقبة زحفه لإتمام الفتوحات نحو المغرب مجسدا دعاءه، فقال:<< **اللهم تقبل نفسي في رضاك،واجعل الجهاد رحمتي ودار كرامتي عندك**>>[1] ،وينقل لنا أيضا المالكي أنه قصد"بلاد الزاب" فقاتل الروم في وقعة عظيمة ،ففروا وتحصنوا في الجبال والحصون،ثم نزل عند وادي قريب[2] ، وأوقع عقبة الهزيمة بالروم بعد أن قتل فرسانهم وذهب عزهم منها إلى آخر الدهر.[3]

يظهر لنا أن عقبة يتتبع مواقع البيزنطيين في الداخل في منطقة "الزاب" ولعله يريد أن يفصل مواقع الداخل عن السواحل، وبذلك يقطع كل اتصال بين الروم والبرانس المتحالفين وبين البربر البتر،وربما تكون هذه هي الخطة المرسومة من لدن عقبة [4]، لاستكمال الفتوحات في أقاصي المغرب.

إذ كيف يجهد عقبة نفسه في بناء"القيروان"،ثم يعزل لأسباب ليس لها ما يبررها، فكان لابد له، أن يكمل مشروع الفتح انطلاقا من قاعدة "القيروان"،ولعل هذه الأسباب هي التي حدت بعقبة من أن يكمل مسيرته نحو البحر المحيط، متجها في داخل البلاد، شمالا ناحية الغرب إلى منطقة "تيهرت" *التي تحالف بها خلق كثير من الروم والبربر.

---

[1] –عبد الله المالكي ، المصدر السابق،ج:1، ص 35 .

[2]– سمي هذا الوادي بوادي السهر ،(انظر: عبد الله المالكي،المصدر نفسه،ج1،ص37) ويذكر ابن عذاري أنه وادي المسيلة،(انظر:محمد بن عذاري،المصدر السابق،ج:1،ص24)،وأيضا(انظر: إبراهيم الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص42)، وكذلك (انظر:محمد بن حوقل،المصدر السابق،ص85) .

[3]– عبد الله المالكي ، المصدر نفسه،ج:1، ص 37 .

[4] –. نجد بعض النقاد يقولون أن عقبة سار بدون خطة،وأن أعماله في المغرب كانت فاشلة من الناحية السياسية، (انظر:حسين مؤنس،المرجع السابق،ص، ص 202، 204)،فكيف يمكن قبول هذا النقد، ومعظم تخطيط الفتوحات في المغرب كانت من طرف العبقرية الحربية لعقبة،فكيف أن يعهد إليه عمرو بن العاص،قيادة الجيوش رغم حداثة سنه في فتوح مصر وبرقة والنوبة وزويلة وفزان، وكان من أبرز القادة الذين اعتمد عليهم عبد الله بن سعد،في فتح إفريقية.(انظر:محمود شيت خطاب،قادة فتح المغرب العربي،ج1،دار الفكر،ط1984،7، ص 115).

*– تيهرت: مدينة كبيرة من مدن المغرب الأوسط على طريق المسيلة،وهي شديدة البرد والغيوم والثلوج .

(انظر: محمد الحميري،المصدر السابق،ص126) .

ويظهر من رواية "المالكي"[*]، أن العسكر الذين كانوا مع عقبة ،قد تملكهم الخوف من كثرة الأعداء من حولهم، فقام عقبة خطيبا فيهم وحرضهم على القتال ولما تراءت الفئتان واحتدم القتال تولت جموع الروم من الزحف هاربين،وقتل منهم ومن حلفائهم من البربر الكثير،وغنم المسلمون أسلحتهم وأموالهم [1] .

ويذكر ابن الأثير،أنه سار بعدها نحو"طنجة" ،فلقيه بطريق من الروم اسمه "يوليان" [**]وهذا ما يرويه أيضا ابن عذاري ، وقد طلب هذا البطريق المسالمة ، فعقد معه الصلح ثم توجه نحو "السوس" داخل البلاد لاستكمال الفتوحات، ولعل عقبة لا يريد خوض غمار المعارك على الساحل على عادته، بل نجد أغلب فتوحاته تمت في داخل البلاد، لذلك نجده يلبي طلب الصلح وهذا الأمر قلما وجد في علاقات عقبة اتجاه البيزنطيين، ولا نعرف إجراءات هذا الصلح ولا قيمته غير

أن ابن عذاري يذكر أن ذلك الملك بعث له هدية عظيمة[2]، فلا ندري إن كان المقصود بها جزية صلحية أم أنها معاملة خاصة بين الطرفين[3] ،وخصوصا لما نعلم أن الجزية الصلحية نوع من "الجزيات الثلاث" [***]ولا حد لها وتعطى على عقد الصلح.

---

[1]– عبد الله المالكي،المصدر نفسه،ج1،ص37،و(انظر:محمد بن عذاري،المصدر السابق،ج:1،ص25) وكذلك(انظر: عز الدين بن الأثير، المصدر السابق،ج:3، ص 451) .

**– يوليان:من أشراف ملوك الروم،وأعاظمهم وذوي العقل والدهاء فيهم.(انظر: محمد بن عذاري، المصدر نفسه، ص 26)

[3] –محمد بن جزي،القوانين الفقهية، تحقيق:عبد الله المنشاوي،دار الحديث،القاهرة،دط،2005، ص 128 .

***– الجزيات الثلاث: هي الجزية العشرية ومقدارها 12 درهما على الفقير،و24 على المتوسط ،و48 على الغني، وهناك الجزية العنوية التي تؤخذ بالقهر،وهناك الجزية الصلحية وتكون بناء على عملية الصلح.
(انظر : محمد بن جزي،القوانين الفقهية،ص 128) .

المطلب الرابع: عقبة وموقعة تهودة : أسرف عقبة في الإهانة ضد كسيله رغم لوم أبي المهاجر له، ورغم تحذير شيخ العرب التي جاءت عند المالكي:<< **فمر به شيخ من العرب فقال:كلا إن البربري ليتوعدكم،فقال أبو لمهاجر لعقبة: أصلح الله الأمير،ما هذا الذي صنعت؟كان رسول الله صلى الله عليه وسلم،يتألف جبابرة العرب،كالأقرع بن حابس وعيينة بن حصن،وأنت تجيء،إلى رجل هو خيار قومه،في دار عزه،قريب عهده بالكفر،فتفسد قلبه،توثق من الرجل،فإني أخاف فتكه،فتهاون به عقبة،فلما انصرف نكث البربر ما كانوا عليه**>>.[1]

وهذه الإهانات كلها بسبب الحقد الذي يكنه عقبة لأبي المهاجر، ويظهر لنا أن هذا التصرف الصادر من عقبة،هو في حد ذاته تصرف قد أساء للإسلام من حيث لا يشعر عقبة، فلو أنه عفا عنه لكانت النتائج أفضل بكثير مما هو متوقع منها ، فقد اعتبر عقبة المعاملة الحسنة التي حظي بها كسيلة هي نوع من المداهنة والذلة من قبل أبي المهاجر ،فأوغل عقبة في تعصبه وأراد أن يبرهن أنه يستطيع هزم جموع الروم والبربر دون عقد التحالف مع كسيلة وهذا يعد خطأ جسيما يؤاخذ به عقبة من طرف الكثير من المؤرخين والباحثين[2].

وهذا التصرف هو الذي كان سانحا فاستغله البيزنطيون الذين انتعشت قوتهم في البحر وهنا يمكن أن نذكر الجهود التي بذلها "الإمبراطور قنسطانز" *

[1] -عبد الله المالكي ، المصدر السابق،ج1، ص 41

[2] -عثمان سعدي،المرجع السابق،ص193،وأيضا انظر:عصام الدين عبد الروؤف الفقي،تاريخ المغرب والأندلس،مكتبة نهضة الشرق،القاهرة،1990،ص19، وانظر :حسين مؤنس،المرجع السابق،ص180 ،

وكذلك، (انظر: محمود شيت خطاب،المرجع السابق،ج1،ص 127)

*- قنسطانز: الملقب بقنسطانز الثاني تولى أمر الإمبراطورية البيزنطية بعد وفاة هرقل بين سنتي(668/685م) امتدت في عهده الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقية ،تعرض لمؤامرة انتهت باغتياله سنة 668م. (انظر: حسنين محمد ربيع،المرجع السابق، ص، ص 78 ، 87) .

هذا الأخير الذي جعل صقلية،عاصمته للنشاط البحري ضد طلائع القوات العربية المتقدمة في إفريقية، فحصن قرطاجنة وزاد عدد السفن فيها[1] .

فعاود البيزنطيون الاتصال بكسيلة ،وانضم منهم المقيمون في معاقل الساحل إلى تنظيم هذا الأخير وقد ضمنوا وصول إمدادات وإسنادات عن طريق البحر، وبذلك قطعوا احتمال وصول قوات مساعدة قد يستنجد بها عقبة[2] .

ويعود عقبة من حملته التي قادته إلى البحر المحيط،قافلا إلى إفريقية، فلما أصبح على مشارفها،أذن لجيشه أن يتقدموا إلى إفريقية فوجا بعد فوج ،حتى إذا وصل إلى "طبنة" *، أذن لن بقي معه بالتوجه إلى القيروان، واستبقى معه مجموعة قليلة من المقاتلين واتجه صوب منطقة تهودة ليتفقد أحوالها وجيشها ، فلما صار عندها،رآه نفر من الروم،ولاحظوا فئته القليلة ، فأغلقوا باب حصنهم ورموه بالحجارة وشتموه وهو يدعوهم إلى الله ورسوله[3] .

وأهم ما يمكن قوله من ثنايا هذه الأخبار أن عقبة بن نافع، كان يهدف من دوريته هذه نحو المغرب ، لينشر تعاليم الإسلام بين البربر أولا ، بدليل أنه قام ببناء بعض المساجد ، وأنه ترك فوجا من المسلمين لتعليم الأهالي أصول الإسلام لأنه أدرك أن البيزنطيين قد منعوا وصول الإسلام إليهم[4] .

وتبدو لنا علاقة عقبة بهؤلاء الروم في منطقة تهودة ،أنه دعاهم إلى اعتناق الإسلام ، لكن يتبين لنا أن هؤلاء البيزنطيين تعنتوا، ورفضوا دعوته.

---

[1]- عبد المنعم خفاجي عبد العزيز شرف،معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي،الدار المصرية اللبنانية،القاهرة، ط:2 ،1992، ص 72 .

[2] -أرشيبالد.ر.لويس،القوة البحرية والتجارية في حوض المتوسط،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،د.ط،دت،ص98

*- طبنة:من أعظم بلاد الزاب،وكان بها أخلاط من الناس،ولها حصن قديم عليه سور من حجر جليل ضخم ولم يكن من القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها.(انظر :الحميري،المصدر السابق، ص 387)

[3] -المالكي ، المصدر السابق،ج1 ، ص 39 .

[4] -محمد بن عذاري ، المصدر السابق،ج:1 ، ص27 .

المبحث الثاني:على عهد أبي المهاجر دينار(55/62هـ . 675/682 م):

تميزت ولاية "أبي المهاجر دينار" * بسياسة أخرى مغايرة لسياسة عقبة في إفريقية والمغرب، ولدراسة هذا المبحث،ارتأينا أن نقسمه إلى ثلاثة مطالب،نبدؤها بسياسة الصلح التي بادر بها أبو المهاجر،وفي المطلب الثاني نتطرق إلى تصدي أبي المهاجر إلى حركة كسيلة وفي المطلب الثالث نذكر الحصار الذي فرضه على مدينة قرطاجنة.

المطلب الأول : أبو المهاجر وسياسة التفاوض والصلح في المغرب :لم يكن أبو المهاجر محاربا قويا كعقبة،ولكنه برع في سياسته القائمة على اللين والمداراة [1] .

ومما صعب علينا ترتيب الأحداث على عهد أبي المهاجر،أن معظم المصادر تمر سريعا على حقبته،ولو أن بعضها لا يوضح لنا ترتيبا زمنيا لأحداث فترته،ولكن هذا لا يمنع من التعرض لأعمال هذا الفاتح،من خلال ما يفهم من الأخبار في المصادر.

فمن المرجح أنه لما وطأت أقدامه أرض إفريقية،سنة 55هـ،حتى هاجم البيزنطيين على تخوم قرطاجنة،وهي الحركة التي كلف بها مساعده حنش بن عبد الله الصنعاني على جزيرة شريك **القريبة من مدينة قرطاجنة معقل البيزنطيين [2] ،وحاصر قرطاجنة، لكن البيزنطيين تحصنوا بأسوارها العالية وفتحها سنة 59 هـ/679م، بعد قتال عنيف بين الجانبين.

---

* -أبو المهاجر دينار:المعروف بأبي المهاجر، فاتح من القادة ، ولما ولي مسلمة بن مخلد مصر وإفريقية ، استعمله على إفريقية فدخلها سنة 55 هـ، بدلا من عقبة بن نافع ، عزله يزيد بن معاوية سنة 62 هـ، استشهد بصحبة عقبة في معركة تهودة بأرض الزاب سنة 63 هـ/682 م.(انظر:خيرالدين الزركلي، الأعلام، ج3 ، دار العلم للملايين،بيروت،ط15، 2002 ، ص6) .

[1] -مختار العبادي، المرجع السابق، ص 40 .

**- جزيرة شريك : بها مدن وقصور كثيرة ومزارع وهي بين مدينة سوسة ومدينة تونس ،وسميت جزيرة شريك نسبة إلى شريك العبسي الذي كان واليا عليها.(انظر:محمد بن أبي دينار،المصدر السابق، ص29) .

[2] -موسى لقبال ، المغرب الإسلامي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط2، 1981،ص 39.

غير أنه استجاب إلى نداء الصلح مع عجم إفريقية[1]، بما فيهم الروم، لفك الحصار المضروب عليهم، مقابل التنازل عن هذه الجزيرة،وبذلك حرم الروم من الاستفادة من هذه القاعدة المتقدمة وجعلها في صالح جيوش المسلمين[2] ،

إلا أننا نرى أن شروط هذا الصلح، قد تغيرت بالمقارنة مع الفاتحين السابقين [3]،وأصبح التفاوض حول افتكاك مناطق نفوذ ، للوصول فيما بعد إلى فتح قرطاجنة معقل البيزنطيين،وهذا ما سنراه لاحقا مع حسان بن النعمان عندما نتعرض إليه في حينه .

ويتضح لنا أن هدف أبو المهاجر من فتح جزيرة شريك ،أن يجعلها مركزا لمراقبة أساطيل الروم في عرض البحر ويقوم بالتصدي لهم،ومنعهم من تهديد خطوط اتصالات وإمدادات المسلمين .

ثم خرج أبو المهاجر من القيروان ولم يستخلف عليها أحدا ولم يبقى فيها إلا الشيوخ والأطفال على حد ما ذكره المالكي[4]، وهذا ما يظهر لنا صدق نوايا أبي المهاجر والتزامه ببنود الصلح .

ونجد أن أبا المهاجر سار بجيشه إلى الغرب،إلى منطقة ميلة [*]،وأهلها من الروم والبربر،رأى منهم استعدادا للقتال،إلا أنه قاتلهم،وفتح المدينة وغنم ما فيها واستقر بها لموقها الهام،الذي يرصد منه أخبار الروم والبربر في تلك الأصقاع[5] .

---

[1] -نجد عند المالكي يقول أنه صالح عجم إفريقية بما فيهم كسيلة الأوربي،ثم يذكر أن أبا المهاجر خرج بجيوشه إلى المغرب،وفتح كل ما مر عليه،ولكنه لا يفصل في هذا الأمر.(انظر:عبد الله المالكي،المصدر السابق،ج:1،ص33)

[2]- محمود شيت خطاب ، المرجع السابق، ج 1، ص 146

[3]- يذكر البلاذري أن عبد الله بن سعد،عقد الصلح مع بطريق إفريقية على ألفي ألف وخمسمائة ألف دينار. انظر(أحمد البلاذري،المصدر السابق،ص 318)

[4]-عبد الله المالكي ، المصدر نفسه ، ج:1 ، ص 33 .

* -ميلة: مدينة بإفريقية بها آثار للأول وبالقرب منها، جبل العنصل ويسكنه قبيل كثير من البربر وفيه مدن وقرى كثيرة. (انظر: محمد الحميري، المصدر السابق، ص 569)

[5]- محمود شيت خطاب ، المرجع السابق، ج:1، ص، ص 139 140 .

المطلب الثاني: أبو المهاجر وحركة كسيلة* : لقد تزامنت عهدة أبي المهاجر مع تولي قسطنطين الرابع عرش القسطنطينية،(انظر الملحق رقم 03) ،وتبين له أن العداء المذهبي والاضطهاد كانت آثاره وخيمة على الأهالي في الولايات المخالفة لها في العقيدة الدينية ولوحظت نتائجه خصوصا في الولاية الإفريقية،فكن أهالي هذه الولاية العداء للبيزنطيين فبادر قسطنطين فعقد مجلسا دينيا سنة 680 م ، وضع به حدا للنعرات المذهبية وبذلك زال ذلك العداء [1] .

وبدأ سكان إفريقيا يعملون على تأييد الدولة البيزنطية في حروبها ضد المسلمين،الذين اصطدموا بهذا التحالف البيزنطي البربري المسيحي والذي تجسد في التنظيم الذي أنشأه كسيلة بتحريض ومساعدة البيزنطيين، فطفق هذا الزعيم يحشد الجموع ، ويعد العدة للزحف باتجاه معقل المسلمين [2]، مما اضطر بأبي المهاجر أن يتحرك تلقاء المغرب حتى بلغ تلمسان [3] ، وهذا ما يذكره السلاوي :

<< وكان كسيلة بن أعز البرنسي ثم الأوربي،من أهل المغرب الأقصى من عظماء البربر،وكان نصرانيا قد جمع الجموع من البربر والفرنج،وزحف إلى المسلمين،فزحف إليهم أبو المهاجر فهزمهم حول تلمسان،وتمكن من البلاد وظفر بكسيلة فأظهر الإسلام فاستبقاه أبو المهاجر واستخلصه >> [4]،

ويفهم من كلام السلاوي،أن أبا المهاجر قد أحس بالخطر الداهم من جهة المغرب وهو الزحف الذي قام به كسيلة اتجاه مواقع المسلمين في إفريقية، ويذكر ابن خلدون أن أبا المهاجر قام سنة55هـ،بالزحف نحوه ليصده [5]

*– كسيلة:بن لمزم البرنسي من قبيلة أوربة البربرية،وكان نصرانيا(انظر :السلاوي،المصدر السابق،ص37)

[1]- إبراهيم أحمد العدوي ، الأمويون والبيزنطيون،مكتبة الأنجلومصرية،القاهرة،د.ط،1953 ص 208

[2]- إبراهيم أحمد العدوي ، الأمويون والبيزنطيون،ص 209 .

[3]- عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق، ج 4 ، ص 237

[4]- أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج 1 ، ص 37

[5]- عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق، ج 4 ، ص 237

فالتقى الجمعان في تلمسان،ونرى أن أبا المهاجر قد عفا عن كسيلة بعد أن هزمه، فقربه إليه .

فيتبين لنا أنه يستخدم القوة في موضعها،حتى إذا ظفر بخصمه جنح إلى الصلح معه مقابل اعتناق الإسلام، ولعل هذه المعاملة تعد واحدة من شيم أبي المهاجر، في تعامله مع خصومه،وخاصة لما نعلم أن كسيلة كان في اتصال دائم مع حلفائه البيزنطيين وهذا مانجده عند حسين مؤنس عندما يحمل لنا رأي جوتييه * بقوله: << **أن مقاومة كسيلة كانت مقاومة بيزنطية في الواقع** >> ،وذلك أن قبيلة أوربة كانت على علاقات متصلة مع الروم،ومن هنا يظهر أن للبيزنطيين يد في الحركة التي قادها كسيلة [1] .

على أن أبا المهاجر كان دائما يحرص أن يغلب أسلوب السياسة والمرونة على أسلوب القوة والصرامة، ليستميل قلوب خصومه من البربر ويجعل ذلك حائلا يمنع اتصال البيزنطيين بالبربر ويقطع الطريق أمام قيام التحالفات بين الجانبين،ويبدو من رواية السلاوي أن أبا المهاجر قد اتخذ كسيلة صديقا وصاحبا يحل معه أين ما حل،لعلمه بمكانة هذا الرجل ومركزه من قومه، .

ومهما يكن الأمر فإن أبا المهاجر قد أثبت نجاعة سياسته مع البربر ليأمن جانبهم،ويظل أبو المهاجر مدافعا عن منهجه في معاملته هذه ،حتى وهو موثوق في الحديد في ولاية عقبة الثانية ، لما بدرت الإساءة من عقبة اتجاه كسيلة زعيم البربر، كما ذكرناه سابقا .

---

*- اميل فيليكس جوتيه (1864 . 1940 م)،جغرافي ومؤرخ فرنسي تخصص في تاريخ وجغرافية المغرب ، عرف ببعده عن روح التقليد ، وامتاز بنزعته التجديدية ، من بين مؤلفاته، ماضي شمال إفريقية، مناطق الجنوب في الجزائر.(انظر: عبد الرحمان بدوي،موسوعة المستشرقين،دار العلم للملايين،بيروت، ط3 ، 1993 ،ص 194) انظر:(اميل فيليكس جوتييه ، ماضي شمال إفريقية ، المرجع السابق ، ص 03)

[1]- حسين مؤنس ،المرجع السابق، ص 166 . وأيضا(انظر: عبد العظيم رمضان،المرجع السابق،ص 81)

المطلب الثالث: أبو المهاجر وحصار قرطاجنة: رأينا أن أبا المهاجر حريص على إسلام كسيلة حتى يتمكن الدين في قلبه، ليحافظ على الصلح ، ويتفرغ خلالها لمجابهة جبهة البيزنطيين،على سواحل البحر ولاسيما لما ندرك أنه عقد الصلح ،مع الجانب البيزنطي مقابل التنازل عن جزيرة شريك التي تعتبر موقعا استراتيجيا، بالغ الأهمية لدى البيزنطيين .

غير أن الصلح الذي أبرمه أبو المهاجر، مع عجم إفريقية المذكور سابقا ، قد نقضه هؤلاء،مما حدا بأبي المهاجر،الرجوع على الفور إلى إفريقية،للنظر في شأنها،فعاد إلى القيروان،ثم حاصر مدينة قرطاجنة ففتحها سنة 59 هـ/679م، حيث شهدت هذه الموقعة قتال عنيف بين المسلمين والبيزنطيين،فيذكر لنا عبد الحميد حسين حمودة نقلا عن خليفة خياط بقوله:<< **فالتقوا فكثر القتل والجرح في الفريقين وحجز الليل بينهم .**>>[1] ،

من سياق هذا الكلام ، يمكننا القول أن أبا المهاجر يستعمل قصارى قوته في تعامله مع أعدائه البيزنطيين، وخصوصا لما نكثوا العهد الذي استأمنه عليهم وقام بطرد الروم نهائيا عن جزيرة شريك الواقعة جنوب قرطاجنة ،فاجتاحها المسلمون وبدأ في شن حملاته على البيزنطيين المتحصنين في مدينة قرطاجنة[2].

ويبدوا لنا أن عمل أبا المهاجر يعتبر تطورا هاما طرأ على سير الفتوحات في إفريقية ،ولعل خير دليل على ذلك هو جعل حملة الفتوحات إلى تسير إلى أهداف حقيقية،وليس مجرد غارات تستهدف مع الأموال والغنائم،وهو ما جسده أبو المهاجر في مصالحة أهل قرطاجنة،بشرط التخلي عن تلك الجزيرة الحيوية [3].

---

[1]- عبد الحميد حسين حمودة،تاريخ المغرب في العصر الإسلامي،الدار الثقافية للنشر،القاهرة،ط1، 2006 ص68

[2] - عبد المنعم خفاجي،عبد العزيز شرف،معارك فاصلة في الإسلام،الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،ط2، 1992 ص 109

[3]- محمود شيت خطاب ، المرجع السابق، ج 1، ص 146

المبحث الثالث:على عهد زهير بن قيس(69/71هـ . 689/691 م):تبدأ ولاية زهير بن قيس* وكسيلة مستبد بأمر القيروان،فيكلف باستعادة القيروان،والثأر لمقتل عقبة،وللتعرض لهذا المبحث ، قسمناه إلى ثلاثة مطالب، فتناولنا في المطلب الأول استرداد القيروان من كسيلة ،أما المطلب الثاني فتعرضنا إلى وضع المغرب بعد موقعة ممس،وفي المطلب الثالث تطرقنا إلى خروج زهير بن قيس إلى برقة .

المطلب الأول :استرداد القيروان من يد كسيلة: استقر رأي الخليفة عبد الملك بن مروان ، على تولية أمر إفريقية، لزهير بن قيس البلوي ، فتم تسخير الجيوش والخيل والأموال له ليقوم بمهمة استنقاذ القيروان والانتقام لموت عقبة [1]،

وقد خطط لهذه المهمة منذ البداية، ومن المتوقع لأنه لاحظ عدد البربر والروم الذين اجتمعوا حول كسيلة فهو يتعامل بسياسة الحيطة والحذر،وخاصة لما علم أن عددا كبيرا من البيزنطيين في جيش عدوه، ولعل هذه المعلومات جمعها، لما استخلفه عقبة على القيروان،وشاهد جيوش كسيلة تكتسح المدينة [2] ، ورأى أن البيزنطيين تحصنوا بقرطاجة آمنين من غارات المسلمين [3] .

*- زهير بن قيس البلوي : شهد فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص، وكان عمره زهاء عشرين عاما،والغالب أن يكون مولده في السنة الأولى للهجرة،وفي سنة 46 هـ،كان في جيش عقبة في فتوح ودان، وفي سنة 62 هـ ، استخلفه عقبة على القيروان، وولي إفريقية سنة 69هـ ،وحارب كسيلة الأوربي وقتله في معركة ممس،استشهد سنة 71هـ/690م في معركة برقة،ودفن بدرنة.(انظر:محمود شيت خطاب،المرجع السابق،ج1،ص ص162.164)

[1]- ينقل لنا ابن عذاري أنه في سنة 65 هـ/685 م،تولى عبد الملك بن مروان زمام الخلافة ، فأشار عليه وجهاء المسلمين،استنقاذ القيروان من يد كسيلة بن لمزم البرنسي،فأجابهم إلى ذلك واجتمع الرأي على تولية الأمر لزهير بن قيس البلوي،الذي كان مقيما وقتها ببرقة ، فكتب إليه زهير مبينا له كثرة ما تقاطر على كسيلة من البربر والروم في القيروان.(انظر: محمد ابن عذاري، المصدر السابق ،ج1 ،ص31)

ويذكر الطبري: في هذه السنة - 65هـ - أمر مروان بن الحكم أهل الشام بالبيعة من بعده لابنيه عبد الملك وعبد العزيز،وجعلهما ولي العهد. انظر (محمد الطبري ، تاريخ الرسل والملوك،ج5 ،تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ،القاهرة ، ط2 ، 1971، ص 610)

[2]- محمد بن عذاري،ج1، المصدر نفسه،ص30

[3]- مختار العبادي، المرجع السابق، ص 42

لذلك نجده يطلب تجهيز جيوش قوية، فهو يريد أن يكسر شوكة ذلك التحالف البربري البيزنطي، باستعمال القوة و السلاح .

وفي سنة 69 هـ/689 م [1]،سار زهير بن قيس البلوي في جمع عظيم يريد القيروان، ووصل خبره عند كسيلة ، فرأى كسيلة مع أشرافه النزول بممس [*]

ويذكر لنا ابن الأثير بأن جيوش زهير مالت شطر القيروان ولم تدخلها وأقام بظاهرها لتستريح جيوشه وتستعد للمعركة[2] .

ويبدو لنا أن كسيلة ارتكب خطأ فادحا،لأنه أفسح مجالا للاتصال بين زهير ومسلمي القيروان، وربما أن زهيرا ، قد أخذ بعض المعلومات حول جيش كسيلة، ليأمن على نفسه من قوة محتملة قد تأتي من ناحية القيروان .

فمكث زهير ثلاثة أيام،وفي اليوم الرابع زحف باتجاه ممس،واشتبك الجيشان، وكثر القتل، وانهزم كسيلة وقتل بممس،وفي تلك الموقعة قتل أيضا نفر من فرسان وأشراف الروم والبربر، [3] .

والذي يظهر أن زهيرا استعمل القوة ضد أعدائه من البربر والبيزنطيين ، كما تسوقه لنا المصادر،وكما سبق وأن ذكرناه،كما أن وروح القتال والانتقام ، تبدو لنا أنها لازمت زهير منذ واقعة تهودة.

---

[1] - نجد هذا التاريخ عند ابن لأثير والنويري والمالكي والسلاوي،انظر(عزالدين بن الأثير، المصدر السابق،ج3، ص 453)،أيضا(انظر:شهاب الدين النويري، المصدر السابق، ج 24 ،ص 17)،وكذلك(انظر،عبد الله المالكي، المصدر السابق،ج1، ص46)، و(انظر أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص42)

*- ممس : من المحتمل أنها وردت باسم ممسى وهي قرية بالمغرب.(انظر:ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج5 ، ص 198.)

[3] - إبراهيم الرقيق القيرواني،المصدر السابق، ص45

[4] - محمد بن عذاري،المصدر السابق، ص 31

المطلب الثاني:المغرب بعد موقعة ممس: بعد واقعة ممس،ومقتل كسيلة، مضى زهير وجيوشه في طلب الروم والبربر، فقبضوا على الكثير منهم وقتلوهم، وجدوا السير وراء البقية منهم في أنحاء البلاد .

كما أن هذه المعركة كسرت الحلف الذي كان معقودا بين البيزنطيين والبربر،وفتح زهير شقبنارية * وقلاعا أخرى، وهذا الذي رواه المالكي[1] .

إذ نجد أن زهيرا اتجه بعد موقعة ممس إلى الشمال، ليفتح بعض الحصون التي استحوذ عليها البيزنطيون،لأنها تعد المناطق التي يتركزون فيها،ثم عاد أدراجه إلى القيروان، فاستقر بها ففزع منه أهل إفريقية واشتد خوفهم فلجؤوا إلى الحصون والقلاع ،على حد ما ذكره ابن عذاري[2] .

ويمكننا أن نقول أن زهير انتهج أسلوب القوة والشدة ويظهر ذلك من خلال هذه الروايات،أنه تتبع أدبار هؤلاء البربر والبيزنطيين المتحالفين ولاذوا بالفرار ثم عاد إلى إفريقية ، وقد فزع منه أهل إفريقية .

ومن المرجح أن فتح تلك المدن والقلاع في الشمال لبث الرعب والذعر في صفوف البيزنطيين، لكي لا يتجرؤوا على مهاجمة القيروان،ولاشك أنه قد ترك حامية على القيروان، بعد أن استأمن عليها،لقول ابن الأثير:**<< فترك بالقيروان عسكرا وهم آمنون لخلو البلاد من عدو أو ذي شوكة >>** [3]

وبذلك قضى زهير على مقاومة البرانس المدعومة من البيزنطيين،ولم يعد لهم شأن يذكر،وكسر التحالف البرنسي البيزنطي ،وصار ميدان شمال إفريقية مقتصرا،على الصراع بين المسلمين والبيزنطيين بعد أفول قوة البربر البرانس ،

---

*-شقبنارية : مدينة من أعظم المدن في إفريقية ،فيها آثار عظيمة، وكان بها ماء مجلوب ،وفيها عين عظيمة عذبة . (انظر: محمد الحميري،المصدر السابق، ص ص 348 . 349)

[1]- عبد الله المالكي، رياض النفوس ،ج1،المصدر السابق،ص47

[2]-محمد بن عذاري، المصدرالسابق، ج1 ،ص 32

[3]-عز الدين بن الأثير ،المصدر السابق،ج3، ص 453

إلا أننا لا نجد أثرا في المصادر حول الهجوم على قرطاجنة[1]،معقل البيزنطيين ،ولعله بلغته أخبار أن البيزنطيين يتهددون أمن برقة فسارع إلى الجهاد وخرج معه خلق كبير،على حد ما جاء عند ابن عذاري وهذا ما يفسر قوله:<<**إني ما قدمت إلا للجهاد وأخاف أن تميل بي إلى الدنيا فأهلك**>>[2] .

المطلب الثالث : خروج زهير من القيروان إلى برقة : تذكر المصادر أن زهيرا قد أقام بالقيروان مدة،ثم رأى بأن يغادرها،رغم إلحاح الكثير من أصحابه وقرر الرجوع إلى المشرق[3] ،

ومن المرجح أن حملة زهير لا تعدو أن تكون إلا حملة تأديبية الغرض منها هو الانتقام لمقتل عقبة بن نافع ،بدليل ما جاء عند ابن عذاري، قول عبد الملك بن مروان : << **لا يصلح للطلب بدم عقبة من الروم والبربر إلا من هو مثله دينا وعقلا.**>> ،وينقل لنا أيضا،أنه استشار وزراءه فأجابوه كذلك :<< **هذا صاحب عقبة وأعلم الناس بسيرته وتدبيره وأولاهم بطلب دمه >>.** [4]

حيث يفهم من قول ابن عذاري أن مهمة زهير محددة بالثأر لمقتل عقبة، ولم تكن ولاية عامة غرضها إتمام الفتوحات في المغرب، لذلك نجده يسارع إلى الخروج ، غير أننا لا نسجل لزهير أية عملية صلح أو مهادنة .

ورجع زهير إلى المشرق،ووصل خبره لدى البيزنطيين ،ولما وصل إلى برقة علم أن البيزنطيين،قد نزلوا بساحلها، فأمر معظم جيوشه بإكمال المسير،وسار هو إلى الساحل في مجموعة قليلة من أصحابه، ولم يتوقع وجودهم على تلك القوة العظيمة، فظن أن

---

[1]- يذكر البلاذري أنه فتح مدينة تونس،(انظر: أحمد البلاذري ، المصدرالسابق ،ص 321)

[2]- محمد بن عذاري ، المصدرنفسه ،ج1، ص 32

[3]- عبد الله المالكي ، المصدر السابق،ج1، ص47

[4]- محمد بن عذاري ،المصدرالسابق،ج1 ،ص 31

مجموعة سفن قليلة لهم، يمكنه ردها[1]، وهذا ما ينقله ابن عذاري بقوله : **<< فبلغ الروم خروجه من إفريقية إلى برقة،فأمكنهم ما يريدون،فخرجوا إليها في مراكب كثيرة،وقوة عظيمة فأغاروا على برقة فأصابوا فيها سبيا كثيرا وقتلوا ونهبوا،ووافق ذلك قدوم عسكر زهير إلى برقة من إفريقية،فأخبر بخبرهم ،فأمر عسكره بالمسير إلى الساحل،طمعا أن يدرك سبي المسلمين،فيستنقذهم ، فأشرف على الروم ،وإذا هم في خلق عظيم ،فلم يقدر على الرجوع >>** [2] .

فيبدو لنا من هذا الكلام،أن زهير قد وقع في نفس خطأ عقبة ، ووقع في الكمين الذي استدرجه إليه البيزطيون،الذين أعدوا معسكرا خفيا بالقرب من ذلك الساحل،فاجأوا به زهير،وأحاطوا به من كل مكان[3]،والتحم القتال وتكاثرت عليه الروم ، فقتل زهير وأشراف من كان معه من العرب حسب مارواه ابن عذاري [4]

لقد كان لحملة زهير على إفريقية ،عظيم الأثر في القضاء على الحلف البيزنطي البرنسي الذي مثله كسيلة بن لمزم ،فكانت بمثابة الضربة القاضية للبيزنطيين في الاستعانة بأهل البلاد من برانس الساحل،إلا أن البيزنطيين تولوا مباغتة زهير، بمساعدة روم القسطنطينية الذين أمدوهم بمراكب بها عدد كبير من المقاتلين،وقد جاء هذا المدد بناء على دعوة من البيزنطيين في إفريقية[5].

---

[1]- إبراهيم أحمد العدوي ، المرجع السابق، ص ص 217 ، 218 .

[2]- محمد بن عذاري ، المصدر السابق ، ج1، ص 33

[3]- إبراهيم أحمد العدوي ، المرجع نفسه، ص 218 .

[4]- محمد بن عذاري، المصدر نفسه، ج1 ،ص 33

[5]- حسين مؤنس،المرجع السابق،ص 236

المبحث الرابع:على عهد حسان بن النعمان(74/80هـ . 695/100 م):

تميزت فترة حسان بن النعمان * باضطرابات كبيرة شهدتها بلاد المغرب،وهذه الفترة تعتبر المنعرج الحاسم الذي قضى على المعالم البيزنطية في هذه البلاد، ولدراسة هذا المبحث،قسمناه إلى أربعة مطالب ، فالمطب لأول تناولنا فيه تكليف حسان بن النعمان بأمر إفريقية،أما المطلب الثاني فتطرقنا إلى زحف حسان في المغرب،أما المطلب الثالث فكان بعنوان حسان يعاود الحملة على إفريقية ،والمطلب الرابع ذكرنا في مضونه فتح قرطاجنة .

المطلب الأول: حسان بن النعمان في إفريقية :تختلف المصادر في ذكر حملة حسان بن النعمان إلى إفريقية [1]، ونجد أن ديهل يذكر سنة 695م التي توافق سنة 74هـ[2] ،ومن خلال مطالعتنا لمختلف المصادر يبدو لنا أن حسان شن حملته منطلقا أولا من مصر إلى إفريقية،محاصرا قرطاجنة وزحف نحو الكاهنة ثم انسحب إلى برقة [3]، حتى وصله المدد، ثم عاود الزحف من برقة باتجاه الكاهنة ، ثم هاجم قرطاجنة مرة أخرى [4]

---

*-حسان بن النعمان :هو حسان بن النعمان بن عدي بن مغيث بن عمرو،أهله من الغساسنة،ملوك الشام قبل الإسلام،ترعرع في بيت عريق في القيادة والحكم،كانت له مكانة مرموقة عند بني أمية ،وعند الناس ،أطلق عليه الشيخ الأمين .(انظر:محمود شيت خطاب،المرجع السابق،ج1،ص ص172.173)

[1]-فيذكر المالكي والسلاوي سنة 69 هـ، وابن عذاري يذكر سنة 78هـ ،أما ابن عبد الحكم فيذكر سنة 73هـ،أما ابن الأثير فيذكر سنة 74هـ،وعنه ينقل النويري،بينما نجد ابن خلدون يذكر أن الحملة كانت بعد مقتل عبد الله بن الزبير ،وأنه أرسل إليه مددا من العساكر سنة74هـ. (انظر:عبد لله المالكي،المصدر السابق،ج1،ص48)،وأيضا(انظر:أحمد السلاوي،المصدر السابق،ج1 ص42) و(انظر:محمد بن عذاري،المصدر السابق،ج1ص34)،وكذلك(انظر:عبد الرحمان بن عبد الحكم،المصدر السابق، ج1،ص269)،وأيضا(انظر:عزالدين بن الأثير،المصدر السابق،ج4، ص135)و(انظر:عبد الرحمان بن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص239)،ويذكر الطبري أن الحجاج بن يوسف،قتل عبد الله بن الزبير سنة73هـ،بعد حصاره لمكة،دام 8 أشهر و17 ليلة.(انظر:محمد الطبري،المصدر السابق،ج6،ص 187)

[2]- dihel,op , cit,p 583

[3]-محمد بن عذاري ، المصدر نفسه، ج1، ص 36

[4]-عبد الرحمان بن خلدون،المصدر نفسه،ج4، ص239

ولعل هذا هو السبب في التضارب في تاريخ حملة حسان بن النعمان على إفريقية ونجد أن عبد العزيز سالم ، يرجع سبب الاختلاف إلى وجود حملتين قام بهما حسان الأولى سنة 74 هـ،والثانية سنة 78 هـ[1] .

ورغم هذا الاختلاف فإن المهم أن حسان سار بجيش عظيم إلى إفريقية[2]، ويذكر لنا كل من ابن عذاري وابن الأثير والنويري وابن خلدون،أنه حل أولا بالقيروان وتجهز منها للهجوم على قرطاجنة[3] .

من خلال كلام المالكي، يظهر لنا أن حسان زحف بهذا الجيش العرمرم وهو حاقد على البيزنطيين[4] ، فتظهر لنا علاقة العداء اتجاههم،خاصة بعد مقتل زهير بن قيس، فنجد أنه زحف مباشرة إلى قرطاجنة ليدك حصونهم .

وهو الرأي الذي وقفت عليه الخلافة الأموية قي وجوب استئصال القواعد البحرية البيزنطية من شمال إفريقية .

---

[1]- عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الكبير ،ج2،دار النهضة العربية،بيروت،دط،1981 ،ص 269

[2]- يحدد ابن عذاري عدد الجيش بـ 40 ألف ،ويؤيده في ذلك ابن الأثير والنويري وابن عبد الحكم بقولهم: جيش عظيم أو كبير لم يدخل إفريقية جيش مثله،بينما نجد ابن خلدون والرقيق يذكران أنه عبارة عن مدد أرسله إليه الخليفة عبد الملك بن مروان والذي زحف به حسان في إعادته للحملة من مدينة برقة ،بينما يذكر المالكي عدد الجيش ستة ألاف فقط .(انظر ابن عذاري ،ج1،المصدر نفسه،ص 34)، و(انظر عزالدين بن الأثير،ج4 المصدر السابق،ص135)،(انظر:النويري،المصدر السابق،ج24،ص18)،و(انظر:ابن عبدالحكم،المصدرالسابق،ج1،ص269) و(انظر:عبد الرحمان ابن خلدون،ج4،ص239)،و(انظر:إبراهيم الرقيق القيرواني،المصدر السابق،ص47)، و(انظر:عبد الله المالكي،ج1،المصدر السابق،ص48)

[3]- محمد بن عذاري،ج1،المصدر نفسه،ص34)،و(انظر:عزالدين بن الأثير،ج4 المصدر نفسه،ج4، ص135)،و(انظر شهاب الدين النويري،المصدر نفسه،ج24،ص18)،و(انظر:عبد الرحمان ابن خلدون،المصدر نفسه ج4،ص 238)،ويعتقد أن حسان قد تدبر أمره وأعد خطته منذ البداية،وأنه عرج على القيروان للتزود بالأخبار من أهلها والاستطلاع أكثر فأكثر،وهذا ما يتبين لنا من قول المالكي:<< **فسأل عن أعظم من فيها من الملوك فقالوا:صاحب قرطاجنة،فرحل إليه حسان،وفي بلده من الروم ما لا يعلمه إلا الله تعالى،وهي على شاطئ البحر** >>.
(انظر: عبد الله المالكي ،ج1، المصدر نفسه ،ص 48)

[4]- عبد الله المالكي ،ج1، المصدر نفسه ،ص 48

فتم تكليف حسان بهذه المهمة، الذي بادر بمهاجمة تلك القواعد[1]، للقضاء على هؤلاء البيزنطيين،

ويذكر حسين مؤنس أن شخصية حسان على شيء كبير،من القدرة السياسية،والمهارة الحربية وبعد النظر[2]، لذلك نسمع قول الخليفة عبد الملك بن مروان،عند المالكي فقال:<<**ما أعلم أحدا أكفأ بإفريقية من حسان بن النعمان الغساني**>>[3]،فنزل حسان بن النعمان عليها وبها من الروم ما لا يحصى من كثرتهم، فبرزوا إليه وتقاتلوا،فقتل رجال الروم وفرسانهم، وحاصر حسان المدينة حتى دخلها بالسيف ،فقتلهم قتلا ذريعا وسباهم ونشر الرعب بين أهاليها وأرسل إليهم فاجتمعوا عنده،وأمرهم بتخريب قرطاجنة وهدمها[4]،ثم بلغه أن البقية من الروم والبربر قد اجتمعوا وتحالفوا عليه في صطفورة وبنزرت* ،فزحف عندهم حسان وقاتلهم حتى فل جيشهم وانهزم جمعهم، فولت فلول الروم إلى مدينة باجة فتحصنوا بها، أما أتباعهم من البربر فمضوا إلى مدينة بونة[6].

ومنه نقول أن حسان استخدم أسلوب القوة والفتك نتج عنه كثرة القتل والنهب والسبي الذي نزل على أعدائه البيزنطيين،مما يبين علاقة الكراهية والعداء اتجاه هؤلاء الذين وقفوا سدا منيعا أمام الفتح الإسلامي.

---

[1]- عبد المنعم خفاجي ،عبد العزيز شرف ، المرجع السابق ،ص 74

[2]- حسين مؤنس ،المرجع السابق،ص 236

[3]- عبد الله المالكي، المصدر السابق ،ج1 ، ص 48

[4]- عبد الله المالكي، المصدر نفسه ،ج1، ص 49

*- صطفورة و بنزرت:بلدتان من نواحي إفريقية،وصطفورة هو اسم لإقليم على البحر فيه قرى وقواعد ومن مدنه بنزرت،(انظر: ياقوت الحموي ، المصدر السابق ،ج3، ص405)،و(انظر الحميري:المصدر السابق،ص 318) ،و(انظر ابن حوقل،المصدر السابق،ص 75)

[5]- عز الدين ابن لأثير، المصدر السابق، ج4 ،ص 135

المطلب الثاني: زحف حسان بن النعمان إلى المغرب: بعد أن فرغ حسان بن النعمان من الزحف على قرطاجنة ،وطرد الروم منها ،انصرف إلى القيروان وأقام بها أياما، ثم بدأ يستطلع أخبار المغرب، ويسد كل الحصون التي يحتمي بها البيزنطيون .

فدله أهل القيروان على امرأة تدعى الكاهنة *،وهي أعظم الملوك من البربر البتر المتحصنة بجبال الأوراس [1]،وجميع الروم خائفون منها وينفذون أوامرها على السمع والطاعة ، وهم يستجيرون بحصونها [2]، ويخبرنا المالكي أن أهل القيروان قالوا لحسان:<< **فإن قتلتها يئس الروم والبربر أن يكون لهم ملجأ** >> ' فسار حسان إليها حتى وقف عند قلعة مجانة أحد الحصون،التي هي للروم البيزنطيين فأحجم حسان عن قتال هؤلاء،لكي لا يهدر قوة جيشه في الصراع معهم[3] .

وهنا تظهر الحنكة الحربية عند حسان، فهو لا يرغب في خوض حرب على جبهتين الروم والبربر ، غير أنه يريد انتزاع شوكة هذا الحاجز البربري البيزنطي من صياصيه، وذلك بالقضاء على تنظيم الكاهنة أولا، وفي تلك الأثناء نجد أن الكاهنة قد غادرت الجبل في عدد لا يحصى من الجنود،ولاشك أن جمع كثير من البيزنطيين ضمن هذا الجيش، ونزلت عند مدينة باغاية، فقامت بإخلائها من الروم اللاجئين بها، وهدمتها [4] ، لكن حسان بن النعمان ، لما علم خبرها زحف إلى وادي مسكيانة مسكيانة ، فانتقلت إليه الكاهنة وهناك دارت معركة شديدة[5] ، على نهر نيني ، انهزم على إثرها حسان بعد بلاء كبير وقتل من المسلمين خلق كثير[6] .

---

*- الكاهنة :دهيا بنت ماتية بن تيفان ملكة جبل أوراس وقومها من جراوة ملوك البتر وكان لهم من الملك والعز والكثرة قبل الإسلام وبعده.انظر:(عبد الرحمان بن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص ص135، 143)

[1]- عبد الرحمان بن خلدون ،المصدر نفسه ،ج4 ، ص 239

[2] - محمد بن عذاري، المصدر السابق،ج1 ، ص 35

[3]- عبد الله المالكي،المصدر السابق،ج1 ، ص 50

[4]- محمد بن عذاري، المصدر نفسه،ج1 ، ص ص 35 . 36

[5]- عبد الله المالكي ،المصدر نفسه،ج1 ، ص 51

[6]- عز الدين بن لأثير،المصدر السابق،ج4 ،ص 136

فخرج حسان من إفريقية وتبعته الكاهنة حتى انتهى إلى برقة[1]،وملكت الكاهنة إفريقية كلها[2]،

ويبدو أن الكاهنة ، لم تهاجم لا المسلمين في القيروان ولا البيزنطيين في قرطاجنة،لكنها أساءت المعاملة وتعسفت ودمرت بعض حصون الروم في إفريقية ولعلها خشيت من ردة فعل قد تكون من هؤلاء.

في حين نجد أن ابن عبد الحكم يقول:<<**واستخلف على إفريقية أبا صالح، وكانت انطابلس ومراقية ولوبية إلى حد أجدابية من عمل حسان.**>>[3] ، وهذا ما يتعارض مع رواية المالكي وابن الأثير والنويري وحتى ابن عذاري الذي يحدد لنا حدود المغرب من ضفة النيل بالإسكندرية،إلى آخر بلاد المغرب وحده مدينة سلا[4]

مما سبق يمكن القول أن حسان بن النعمان ابتعد عن معاقل البيزنطيين،لأنه لاحظ أن هؤلاء يحتمون بتنظيم الكاهنة،وما دام هذا التنظيم موجود يصعب عليه القضاء على البيزنطيين،الذين استفحل أمرهم،واستعاد قرطاجنة أسطول بيزنطي بقيادة (يوحنا) بطريق صقلية[5]،وتظهر لنا علاقة العداء اتجاههم بالرغم من أنه تركهم،واهتم تركهم،واهتم بأمر الكاهنة التي لم يتوقع أن تهزمه،غير أنه لم يستسلم وفضل الانسحاب، للتفكير فيما ينبغي فعله ، ويتسنى له القضاء على ثورة الكاهنة، ثم التفرغ نهائيا للبيزنطيين.

---

[1]- عز الدين ابن لأثير،المصدر السابق،ج4 ،ص 136

[2]- عبد الله المالكي،المصدر السابق،ج1 ، ص 51 وكذلك (انظر:عزالدين بن الأثير والنويري بينما ابن عذاري يقول:<< **وملكت الكاهنة المغرب كله خمس سنين**>>،(انظر:عز الدين ابن لأثير،المصدر نفسه،ج4، ص 136)
و(انظر:شهاب الدين النويري،المصدر السابق،ج24،ص19)،و(انظر:محمد بن عذاري،المصدر السابق،ج1،ص36)

[3]- عبد الرحمان بن عبد الحكم، المصدر السابق،ج24، ص 270

[4]- راجع الصفحة ... من المذكرة

[5]- السيد الباز العريني ،المرجع السابق،ص 168

المطلب الثالث: حسان يعاود الحملة على إفريقية : قبل إرسال الكلام عن معاودة حملة حسان على إفريقية،أردنا أن نلفت النظر إلى أن مقاومة الكاهنة يمكن أن ندرجها في التحالف البيزنطي البربري،منذ ولاية عقبة ،لأن ابن الكاهنة إذ ذاك،قد خرج يتتبع مسار عقبة،فكان يردم كل بئر يغادره عقبة دون تفطنه له[1]،مما يكشف لنا عن وجود تواطؤ بربري بيزنطي،قد حيكت خيوطه ضد عقبة.

ويذكر غوتيه بقوله:**<< أنه بوفاة كسيلة،تنتقل الزعامة لقبيلة أوراسية أخرى هي قبيلة جراوة،التي كانت مسيطرة على الأوراس الشرقي.>>** [2].

وهذا الخبر نجده كذلك ،عند حسين مؤنس الذي يتحدث عن قيام الكاهنة بتزعم المقاومة مباشرة بعد مقتل كسيلة ،رغم أنها بترية من جراوة ، إلا أنها هي نفسها كانت شديدة الصلة بالروم،إذ كان لها زوج بيزنطي إغريقي ، أنجبت منه أحد ولديها [3]، وهذا الأمر ينقله عن ابن عذاري في البيان:**<< وكان لها ابنان،أحدهما بربري والآخر يوناني.>>** [4]

فيفهم مما سبق ذكره،عن وجود علاقات تحالف بين البيزنطيين وبربر أوربة البرانس وبربر جراوة البتر[5]،وهذا ما خلص إليه غوتيه بقوله:**<<فعمدت بيزنطة لتمويل البربر وتسليحهم مع إسداء النصيحة لهم،وهكذا صادف العرب في بلاد المغرب شبكة مقاومة تضم اللاتين والبربر من رحل وحضر.>>** [6] .

---

[1] - عبد الرحمان بن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 268

[2]- غوتيه ،المرجع السابق،ص 241

[3]- حسين مؤنس،المرجع السابق،ص 201

[4]- محمد بن عذاري،المصدر السابق،ج1 ، ص 37

[5]- يرى بعض الباحثين أن مقاومة الكاهنة هي عبارة عن حركة ذات طابع محلي خالص،هدفها الدفاع عن سلطتها وكيانها السياسي لمملكتها ولا علاقة له بالبيزنطيين. (انظر: صالح بن قربة وآخران، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، المركز الوطني للدراسات والبحث،الجزائر،د.ط،2007 ،ص ص 35 . 36 . 38)

[6]- غوتيه ،المرجع نفسه،ص 243

لذلك نرى أن حسان اصطدم بهذا التحالف البيزنطي البربري المتجدد باستمرار،وهذا ما يفسر لنا مرة أخرى كلام ابن عذاري،أن حسان كتب إلى الخليفة، يخبره:**<< أن أمم المغرب ليس لها غاية،ولا يقف أحد منها على نهاية كلما بادت أمة ،خلفتها أمم وهي من الجهل والكثرة كسائمة النعم. >>**

ولما أبطأ حسان عن الرجوع بحملته ،رأت الكاهنة أن تخرب إفريقية،فقالت للبربر والبيزنطيين المتحالفين معها:**<< إنما طلب حسان من إفريقية المدائن والذهب والفضة والشجر،ونحن إنما نريد المراعي والزرع،فما أرى لكم إلا خرابها >>**[1].

ويبدو من هذا القول أن "الكاهنة" نقضت عقد التحالف،الذي كان بينها وبين البيزنطيين، بسياسة التخريب والدمار التي انتهجتها ، وهو ما يتعارض مع سياسة البيزنطيين القائمة على المدن والحصون لصد الزحف الإسلامي[2] ،فاعتقدت أن سبب زحف المسلمين على البلاد،هو الخيرات التي يكنزها البيزنطيون واللاتين في المدن وشمال البلاد من ذهب وفضة وأشجار[3].

وهكذا تكون الكاهنة قد قضت على ذلك التحالف القديم، وسهلت مهمة حسان بالرجوع بحملته على إفريقية ،ثم إن حسان لما وصله الكتاب، من عند عبد الملك بن مروان للنهوض إلى إفريقية،وفي تلك الأثناء،بعث رسوله الذي أتاه بالأخبار من عند خالد بن يزيد *في معقل الكاهنة، الذي كتب له يستحثه على الزحف [4].

---

[1]- محمد بن عذاري ،المصدر السابق،ج1 ، ص 36

[2]- صالح بن قربة وآخران،تاريخ الجزائر في العصر الوسيط،ص 40

[3]- ربما أن الكاهنة وصلتها أخبار عبد الله بن أبي السرح الذي غنم من مدينة قرطاجنة أموال الذهب والفضة، فتعجب هو والمسلمون من كثرة ذلك.(انظر: محمد بن عذاري،المصدر نفسه ،ج1، ص 12)

*- خالد بن يزيد القيسي:من الأسرى الذين احتجزتهم الكاهنة في معركة نيني، أرضعته ليصير أخا لولديها، فاستعمله حسان عينا له فأطلعه على أخبارها.(انظر:عبد الرحمان بن خلدون،المصدر السابق،ج4، ص239)

[4]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج4،ص 136

فلما انطلق حسان بجموعه إلى إفريقية، ولقيه وفود البيزنطيين يشكون له أمر الكاهنة، فسره ذلك [1]،ويظهر لنا أن هؤلاء البيزنطيين قد عقدوا حلفا معه، وفي المقابل تفرق أمر الكاهنة،وانصرف عنها حلفاؤها من البيزنطيين وهذا ما نراه في جواب خالد بن يزيد ، الوارد على حسان في قول ابن عذاري: **<< إن البربر متفرقون لا نظام لهم،ولا رأي عندهم، فاطوي المراحل وجد في السير >>.**[2]

ومما يبين لنا تفرق أمر الكاهنة،واجتماع قوة المسلمين بتحالفهم مع وفود البيزنطيين،أن حسان أينما حل يستقبله أهل إفريقية بالإكرام والحفاوة وهذا ما جاء عند ابن الأثير بقوله: **<< فسار إلى قابس، فليقيه أهلها بالأموال والطاعة>>** ، وقوله أيضا:**<< وسار إلى قفصة فأطاعه من بها.>>**[3]

ثم مضى حسان صوب "الكاهنة" لقتالها ، وكانت "الكاهنة" تحرص على أخذ الأمان لولديها من عند حسان بوساطة " خالد بن يزيد" ،فزحف إليها حسان فقابلته الكاهنة ،ثم ولت مع جيوشها هاربة،تريد قلعة بسر* ،لتتحصن بها،فوجدتها مهدمة بسبب سياستها التخريبية، ثم اتجهت ناحية جبال الأوراس، واتبعها حسان ودارت معركة شديدة انتهت بقتل الكاهنة في مكان فيه بئر، وسمي بئر الكاهنة [3].

مما تقدم ذكره نخلص ،إلى أن حسان استفاد من التحالف،الذي أقامه مع البيزنطيين،كما أنه استفاد أيضا من عقد الآمان الذي أعطاه لولدي الكاهنة، مقابل اعتناقهما للإسلام، وبذلك ضمن عدم المقاومة من طرفهما بعد مقتل الكاهنة،وهو بمثابة حلف إسلامي بربري سري، كانت له نتائج إيجابية فيما بعد.

---

[1]- عز الدين بن لأثير، المصدر السابق، ج4،ص 136

[2]- محمد بن عذاري،المصدر السابق،ج1 ، ص 37

[3]- عز الدين بن لأثير، المصدر نفسه، ج4،ص 136

*- قلعة بسر: تقع بناحية مجانة بإفريقية ، نسبة إلى فاتحها بسر بن أرطأة.(انظر:ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج5،ص 56)

[3]- عبد الله المالكي ،المصدر السابق ،ج1، ص ص 54 . 55

المطلب الرابع: فتح قرطاجنة والقضاء على البيزنطيين :نجح حسان بن النعمان في التخلص من الكاهنة سنة 82هـ/701م [4]، وظفر بضم صف البربر ونفرا من الروم في جيوشه مقابل منحهم الآمان، ودخولهم الإسلام، فجند منهم، اثني عشر ألفا من المقاتلين، فأمر عليهم ولدي "الكاهنة"، وخرجوا مع العرب يفتحون ما بقي من البلاد[2]، وصار ميدان الصراع أمامه لمواجهة البيزنطيين[3].

عاد حسان إلى "القيروان" ليستجمع قوته، ويتم استعدادته للزحف باتجاه معاقل البيزنطيين في شمال "القيروان"، في منطقة"طنبذة" * ،ومنطقة "زغوان" **، وجنوب " قرطاجنة"،وهذا الذي يذكره المالكي بقوله:**<< ثم رحل يريد قرطاجنة فانتهى إلى طنبذة فوجه أبا صالح مولاه إلى قلعة زغوان>>**،ويذكر أيضا:**<< رحل إلى زغوان في خيل مجردة،فافتتحها ثم انصرف إلى طنبذة،ثم سار يريد قرطاجنة >>** [3] .

من خلال ما أورده المالكي، يبدو أن هذه النواحي لا تزال تحت سيطرة البيزنطيين،وفيها قلاع وحصون في منطقة جبلية وعرة المسالك،وتظهر تلك المناطق أنها بمثابة قواعد دفاعية متقدمة لحماية مدينة "قرطاجنة"،لذلك نجد أن حسان قد سير إليها مساعده"أبا صالح"،ثم تحرك بنفسه إلى تلك القلاع والحصون[4]

---

[4]- محمود خطاب شيث،المرجع السابق، ص198

[2]- يذكر ابن عذاري بقوله:**<< وكان مع حسان جماعة من البربر،استأمنوا إليه،فلم يقبل أمانهم إلا أن يعطوه من قبائلهم،اثني عشر ألفا يجاهدون مع العرب فأجابوه وأسلموا،على يديه،فعقد لولدي الكاهنة، لكل واحد منهما على ستة ألاف فارس>>**.(انظر: محمد بن عذاري، المصدر السابق،ج1، ص 38)

[3]- عبد الله المالكي ،المصدر السابق ،ج1، ص 56

*- طنبذة: قرية بإفريقية على مسافة قريبة من تونس، تسمى المحمدية ،(انظر:محمد الحميري،المصدر السابق، ص 387)

**-زغوان : هي جبل بإفريقية بالقرب من تونس .(انظر:ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج3، ص 144)

[3]- عبد الله المالكي ،المصدر نفسه ،ج1، ص 57

[4]- عبد الله المالكي ،المصدر نفسه ،ج1، ص 57

فحاصر البيزنطيين والبربر المتحصنين هناك،فطلبوا منه الصلح فصالحهم، ثم سار باتجاه قرطاجنة، لاستردادها من أيدي البيزنطيين،وكان البطريق " يوحنا " ورجاله قد حصنوها و رمموا أسوارها، وكانوا إذ ذاك يرصدون أخبار حسان في حربه ضد الكاهنة، فتقدم إليهم حسان فقابله أسطول بيزنطي،كان قد أرسله الإمبراطور ليونتيوس* (انظر الملحق رقم03) ،أنزل قواته في المدينة [1].

فخرج إليه أهلها فحاربوه،ولما رأوا منه بأسا شديدا،وأن لا طاقة لهم به راموا الصلح منه، وأن يضع عليهم الخراج،فنزل عند حكمهم ،وبذلك فتح قرطاجنة صلحا [2]، وانهزم الأسطول في موقعة كبيرة ،وسقطت قرطاجنة في قبضة المسلمين.[3]

وعلى إثر تلك الهزيمة فرت القوات البيزنطية،واتجه قادتها إلى القسطنطينية بطريق البحر ،وأثناء عودتهم تآمروا على خلع الإمبراطور" ليونتيوس"، فقبضوا عليه،وخلعوه من منصبه،وأقاموا مكانه،نائب قائد البحرية البيزنطية طيبريوس **[4]

أما أهالي المدينة من البيزنطيين،فحملوا متاعهم وأثقالهم في مراكب أعدوها لذلك، فبعضهم هرب إلى صقلية ،والبعض الآخر هرب إلى الأندلس .[5]

---

*- ليونتيوس: أحد الأباطرة البيزنطيين،دام حكمه من سنة 695 إلى 698 م،في عهده استولى المسلمون على قرطاجنة ،ثم سقطت نهائيا،حيكت ضده مؤامرة من طرف قادة الأسطول،انتهت بخلعه وأجبروه على الرهبانية ،وخلفه طيبريوس الثاني.(انظر :محمود سعيد عمران،معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،دار المعرفة الجامعية،السويس،د:ط،2000، ص84)

[1]- محمود خطاب شيث،المرجع السابق، ص199.

[2]- عبد الله المالكي ،المصدر السابق ،ج1، ص 57.

[3]- محمود خطاب شيث،المرجع نفسه، ص199.

**- طيبريوس:هو طيبريوس الثاني أحد الأباطرة البيزنطيين،كان نائبا للأميرال للبحرية البيزنطية،دام حكمه من سنة 698 إلى 705م ،ولم يتقبل الشعب البيزنطي حكم طيبريوس بالرضا،حاصره جوستنيان الثاني،في القسطنطينية،لكنه فر تاركا الحكم له.(انظر :محمود سعيد عمران،المرجع نفسه،ص ص84 ، 85)

[4]- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص84

[5]- عبد الله المالكي ،المصدر نفسه ،ج1، ص 57

الخاتمة

وختاما لما انطوى عليه موضوعنا الذي كان حول علاقة قادة الفتح الإسلامي بالبيزنطيين في المغرب أثناء القرن السابع ميلادي الأول هجري، حيث تم تخريج الموضوع في ثلاثة فصول: الاول حول بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي، والفصل الثاني كان فحواه العلاقات قبل الفتح المنضم، والأخير انطوى على العلاقات بعد الفتح المنضم وعليه تم التوصل إلى:

ساد بلاد المغرب الاضطراب السياسي قبيل الفتح الإسلامي، ويظهر ذلك في محولة للانفصال بالمغرب عن الإمبراطورية البيزنطية من طرف البطريق جرجيريوس الثاني.

انتعشت بلاد المغرب من الناحية الاقتصادية أواخر العهد البيزنطي، وهذا ما ذكره المؤرخون العرب الذين شد انتباههم كثرت الزروع والخيرات التي وجدها الفاتحون المسلمون، المتسائلين حول سبب وفرت الأموال والغنائم في المنطقة والراجع للنشاط الزراعي والإقتصادي المنتعش.

تكون المجتمع المغربي قبيل الفتح الإسلامي من أربع فئات أساسية هي:الأفارقة، الروم،الفرنجة، البربر، وكانت نسبة البربر هي الغالبة إلا أن المناطق الساحلية كانت مركزا للتواجد البيزنطي بكثرة وأيضا تواجد في الساحل الأفارقة.

تأثرت بلاد المغرب بالمشاكل الدينية التي كادت تعصف بالإمبراطورية البيزنطية والتي حاول الأباطرة التحكم بها وإرساء الهدوء في مقاطعات الإمبراطورية دون جدوى

عجز البيزنطيون في الوصول إلى خط الليمس الروماني الذين أرادوا بلوغه، إلا أنهم لم يسيطروا إلا على المناطق الساحلية وبعض السهول، وكذا بعض المناطق الإستراتيجية في الداخل، التي بها حصون رومانية والتي قاموا بمعاودة ترميمها.

بداية توغل الجيوش الإسلامية في أدغال برقة وطرابلس ومناطق الجنوب الشرقي ليكون التماس الأول بين قادت الفتح الإسلامي والبيزنطيين، وبداية العلاقة المتمثلة في

الصراع الحربي حول مناطق النفوذ، وبداية التواجد الإسلامي في المنطقة مع توالي التعزيزات .

إجتياح القادة المسلمين لأماكن التواجد البيزنطي ودخول الطرفين في مواجهة كبيرة، حيث قام قادة الفتح بكسر شوكة البيزنطيين بعد معركة سبيطلة وقتل القائد البيزنطي في المغرب البطريق جريجوريوس في هذه المعركة .

وصفة حملات القادة المسلمين على المغرب قبل الفتح المنظم بالغزوات وذلك لتمكنهم من الحصول على الغنائم، التي تستعمل لإثراء دار المال لمواصلة مهمة الفتح ، غير أنهم لم يقوموا ببناء قاعدة لانطلاق الفتحات .

قام القائد الإسلامي عبد الله بن أبي سرح بطرد البيزنطيين بعد هزمهم وقتل البطريق البيزنطي جريجوار، إلا أنهم عاودوا الرجوع للمغرب بعد انسحابه ، هذا ما جعل حملته توصف بالغزوة الطويلة.

تجدد الصراع والحروب بين قادة الفتح الإسلامي والبيزنطيين مع تولية القائد الفاتح معاوية بن حديج، الذي تمكن من هزيمة البيزنطيين الذين عاودوا الرجوع إلى المغرب .

تغير إستراتيجية قادة الفتح الإسلامي، وتمكنهم من تأسيس قاعدة عسكرية سميت بالقيروان والتي مكنتهم من تثبيت قواعد التواجد الإسلامي في المغرب، وتأكد البيزنطيون من إمكانية فقدهم لإقليم المغرب بعد إظهار المسلمين نواياهم في الإستقرار.

اصطدام المسلمين بالتحالف البيزنطي البربري، الذي طال أمده من ولاية أبي المهاجر إلى غاية القضاء عليه من طرف حسان بن النعمان.

إتمام الفتوحات الإسلامية في أقصى المغرب وإنظمام بعض قبائل البربر إلى الجيش الإسلامي، بعد اعتناقهم للدين الإسلامي الجديد ووقوفهم في صف المسلمين ضد البيزنطيين.

القضاء الكلي على الوجود البيزنطي بالمغرب، وخسارة الإمبراطورية البيزنطية لإقليم المغرب،الذي أصبح ولاية إسلامية جديدة تضم لأملاك الدولة الإسلامية، وانتهاء علاقة قادة الفتح الاسلامي بالبيزنطيين في بلاد المغرب .

طغى على العلاقات الصراع والحروب بين قادة الفتح الإسلامي للمغرب والبيزنطيين، ومرد ذلك أن كل منهما يريد مناطق للنفوذ والتوسع و في خضم هذا الصراع رصدنا بعض مظاهر السلم، والتي تجلت في إقامة الصلح وفرض الجزية من طرف قادة الفتح الإسلامي على البيزنطيين.

الملاحق

الملحق رقم 1 : مباني بيزنطية

مدينة سبيطلة [1]

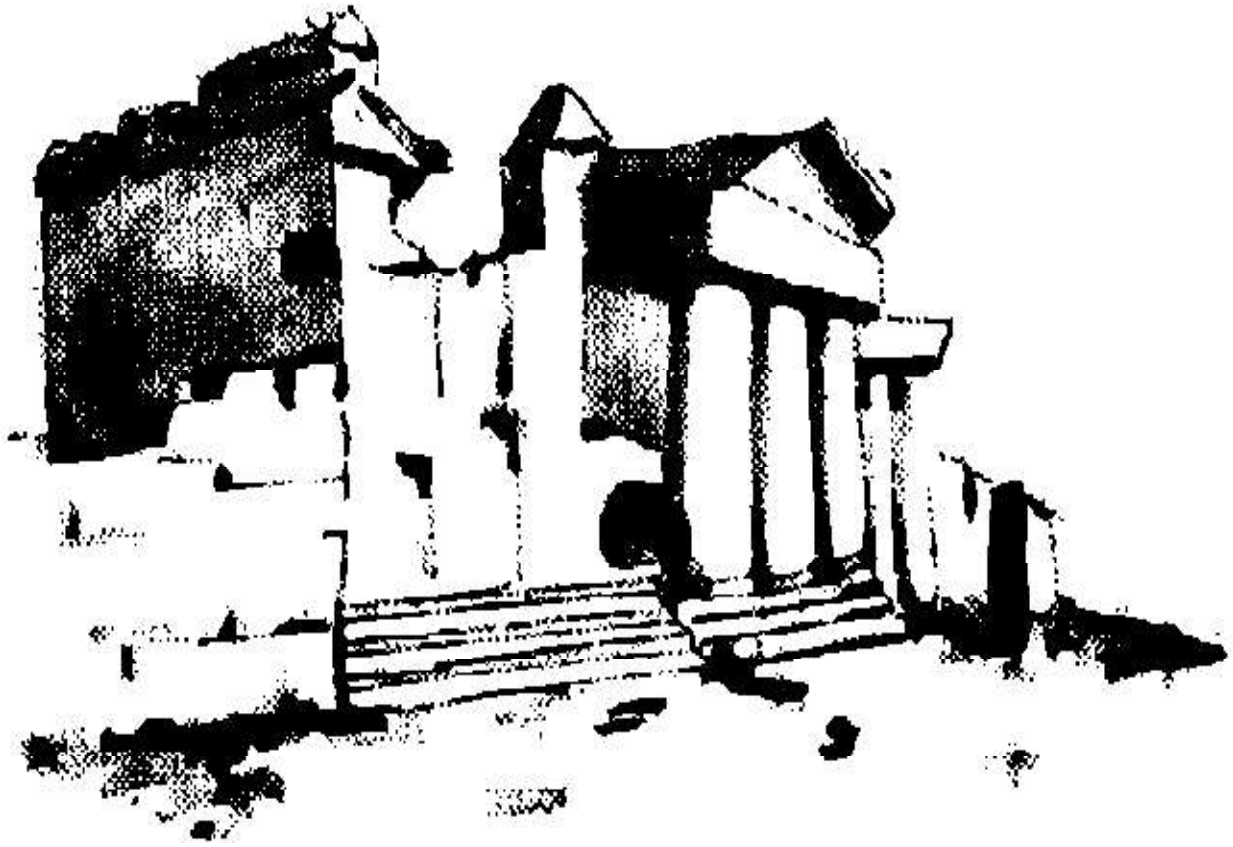

1 . انظر : محي الدين المشرفي،المرجع السابق، ص159

الملحق رقم 2 : قلعة بيزنطية بالمغرب [1]

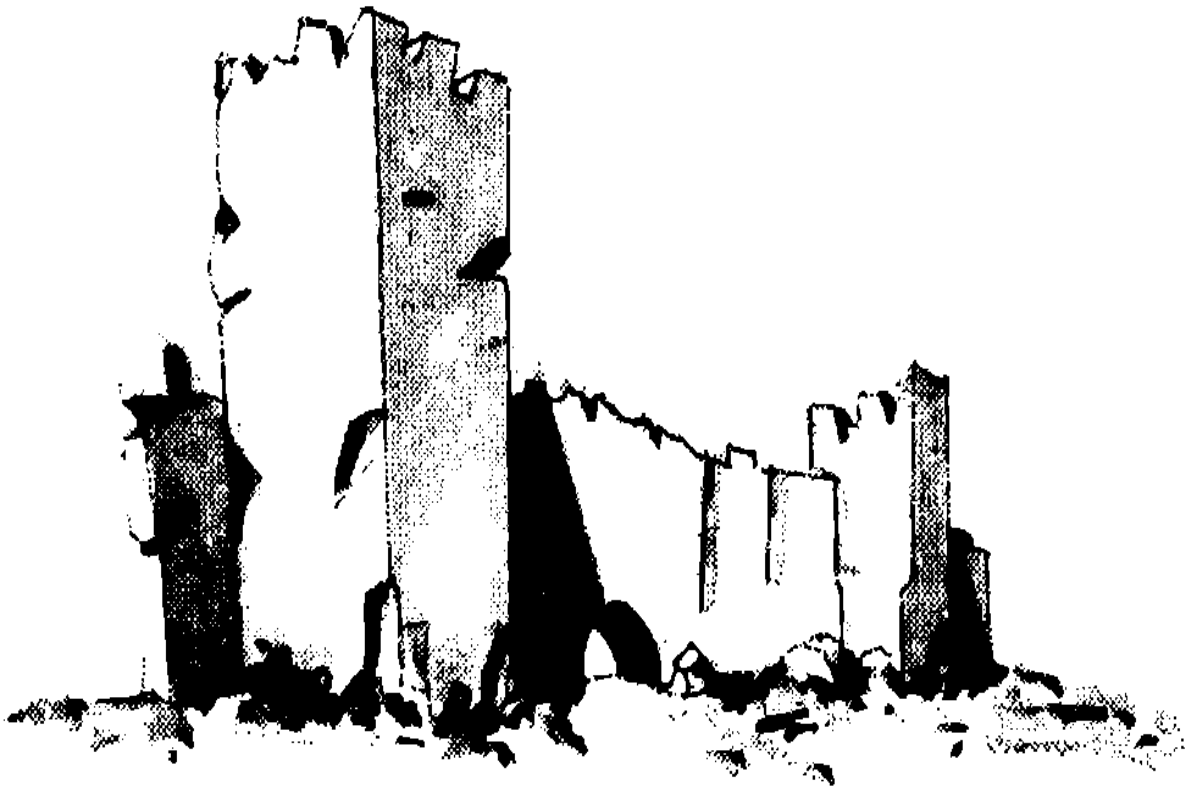

1 . انظر: محي الدين المشرفي،المرجع السابق ، ص 160

الملحق رقم 03 : أباطرة الدولة البيزنطية

حتى نهاية القرن السابع الميلادي[1] .

اسم الإمبراطور	مدة الحكم
دقلديانوس	284 م ـ 305 م
أسرة قسطنطين	
. قسطنطين الأول (الكبير)	305 م ـ 337 م
. قسطنطينيوس	337 م ـ 361 م
. جوليان	361 م ـ 363 م
. جوفيان	363 م ـ 364 م
. فالنز	364 م ـ 378 م
أسرة ثيودوسيوس	
. ثيودوسيوس الأول (الكبير)	379 م ـ 395 م
. أركاديوس	395 م ـ 408 م
. ثيودوسيوس الثاني	408 م ـ 450 م
. مارقيان	450 م ـ 457 م
أسرة ليو	
. ليو الأول	457 م ـ 474 م
. ليو الثاني	474 م
. زينون	474 م ـ 491 م
. أناستاسيوس الأول	491 م ـ 518 م

1 . انظر: السيد الباز العريني ،المرجع السابق ، ص 894

(تابع) الملحق رقم 03: أباطرة الدولة البيزنطية

حتى نهاية القرن السابع الميلادي [1].

اسم الإمبراطور	مدة الحكم
أسرة جوستينيان	
. جستين الأول	518 م ـ 527 م
. جوستنيان الأول	527 م ـ 565 م
. جستين الثاني	565 م ـ 578 م
. طيباريوس الثاني	578 م ـ 582 م
. موريس	582 م ـ 602 م
. فوكاس	602 م ـ 610 م
أسرة هرقل	
. هرقل الأول	610 م ـ 641 م
. قسطنطين الثالث	641 م
. هراقليوناس	641 م
. قنسطانز الثاني	641 م ـ 668 م
. قسطنطين الرابع	668 م ـ 685 م
. جوستنيان الثاني	685 م ـ 695 م
. ليونتيوس	695 م ـ 698 م
. طيباريوس الثالث	698 م ـ 705 م

1 . انظر: السيد الباز العريني ،المرجع السابق ، ص ص 115 و895 . 896

الملحق رقم 04 : خلفاء الدولة الإسلامية

حتى نهاية القرن السابع الميلادي[1] .

اسم الخليفة	مدة الخلافة
. أبوبكر الصديق رضي الله عنه	**11 . 13هـ - 632 . 634م**
. عمر بن الخطاب رضي الله عنه	**13 . 23هـ - 634 . 644م**
. عثمان بن عفان رضي الله عنه	**23 . 35هـ - 644 . 656م**
. علي بن أبي طالب رضي الله عنه	**35 . 40هـ - 656 . 661م**
. معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه	**40 . 60هـ - 661 . 680م**
. يزيد بن معاوية	**60 . 63هـ - 680 . 683م**
. معاوية الثاني	**63 هـ - 683م**
. مروان بن الحكم	**64 . 65هـ - 683 . 685م**
. عبد الملك بن مروان	**65 . 86هـ - 685 . 705م**

1 . انظر: حسين مؤنس ،المرجع السابق ، ص327

قائمة البيبليوغرافيا

أولا : القرآن الكريم، رواية ورش .

ثانيا : المصادر :

. ابن الأثير(عزالدين أبو الحسن محمد بن محمد)

الكامل في التاريخ،تحقيق،أبي الفدا عبد الله القاضي،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1، 1987.

. الإصطخري(أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي)

مسالك الممالك،مطبعة بريل،ليدن،د:ط،1870.

. البلاذري(أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر)

فتوح البلدان،تح،عبد الله أنيس الطباع،مؤسسة المعارف،بيروت،د:ط،1987.

. ابن جزي(أبو القاسم محمد بن أحمد)

القوانين الفقهية، تحقيق:عبد الله المنشاوي،دار الحديث،القاهرة،د:ط،2005.

. الحميري(أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم)

الروض المعطار ،تحقيق:إحسان عباس،مكتبة لبنان،بيروت،ط:2، 1984.

. ابن حوقل(أبو القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي)

مسالك الممالك،مطبعة بريل،ليدن،د:ط،1870.

. ابن خرداذبة(أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله)

المسالك والممالك،مطبعة بريل،ليدن،د:ط، 1889 .

. ابن خلدون(عبد الرحمان ابن محمد)ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر،ج:4، دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت ،د:ط،2000

. ابن أبي دينار(أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني)

المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،مطبعة الدولة التونسية،ط1، 1286هـ

. الذهبي(أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان)

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،ج:2،تح:بشار عواد معروف،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط1،2003 .

. الرقيق القيرواني(إبراهيم بن القاسم القيرواني)

تاريخ إفريقية والمغرب،تحقيق،محمد زينهم محمد عزب،دار الفرجاني،القاهرة، ط:1، 1994.

. الزهري(أبو عبد الله محمد بن أبي بكر)

الجعرافية،تحقيق :محمد حاج صادق،مكتبة الثقافة الدينية ،بور سعيد،دط،دت

. السلاوي(أحمد بن خالد الناصري)

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب،الدار البيضاء،د:ط،1954.

. الطبري (محمد ابن جرير)

تاريخ الرسل والملوك،ج5 ،تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ،القاهرة ، ط2 ، 1971.

. ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم)

. ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن عذاري المراكشي)

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1،تحقيق:ج س كولان،إ ليفي بروفنسال،دار الثقافة،بيروت،ط1983،3

. القلقشندي (أبو العباس أحمد القلقشندي)

صبح الأعشى،ج3،المطبعة الأميرية،القاهرة،د:ط، 1914 .

. كاربخال (مارمول)

إفريقيا،تر:محمد حجي وآخرون،دار المعرفة،الرباط،د:ط، 1989.

. المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد)

رياض النفوس،ج:1، تح: بشيرالبكوش،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط:2، 1994

. مؤلف مجهول(كاتب مراكشي من القرن السادس الهجري)

الاستبصار في عجائب الأمصار،تع:سعد زغلول عبد الحميد،دار الشؤون الثقافية،بغداد، د:ط،د:ت

. المقدسي (أبو عبد الله شمس الدين محمد المقدسي)

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،مطبع بريل،ليدن ،ط2، 1906

. ابن منظور(محمد ابن مكرم الانصاري)

لسان العرب،دارالمعارف،القاهرة،تحقيق:عبدالله على الكبير وآخرون،د:ط،دت

النويري(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)

نهاية الأرب في فنون الأدب،ج24،تح:عبد المجيد ترحيني،دار الكتاب العلمية،بيروت،د:ط، د:ت

. ياقوت الحموي(أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي)

معجم البلدان ، ج1 ، دار صادر،بيروت ، د:ط ،1977

. اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح)

تاريخ اليعقوبي،تح،عبد الأمير مها،شركة الأعلمي للمطبوعات،بيروت،ط:1، 2010.

ثانيا : المراجع :

. أرشيبالد.ر.لويس ،القوة البحرية والتجارية في حوض المتوسط،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،د.ط،دت

. جوليان شارل أندري،تاريخ إفريقيا الشمالية ،تر،محمد مزالي،البشير بن سلامة،مؤسسة توالت الثقافية،ج:1،توالت ط:2 ،2011

. حارش محمد الهادي ، التاريخ المغاربي القديم ،المؤسسة الجزائرية للطباعة ،الجزائر،د:ط،د:ت

. حسنين محمد ربيع،دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية،دارالنهضة العربية،القاهرة،د:ط،1983،

. حمدي عبد المنعم محمد حسين،مدينة سلا في العصر الإسلامي،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،د:ط،1993،

. حمودة عبد الحميد حسين ،تاريخ المغرب في العصر الإسلامي،الدار الثقافية للنشر،القاهرة،ط1، 2006

. خطاب محمود شيت ،قادة فتح المغرب العربي،ج1،دار الفكر،ط7 ، 1984

ـ **خفاجي** عبد المنعم عبد العزيز شرف،معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي،الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،ط2 ،1992

. **رمضان عبد العظيم** ،الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية،دار المعارف،القاهرة،د:ط،1983،

. **زيتون محمد محمد** :المسلمون في المغرب والأندلس

. **سالم عبد العزيز** ، تاريخ المغرب الكبير،مج:2 ،دار النهضة العربية، بيروت،د:ط،1981،

. **سعدي عثمان** ، الجزائر في التاريخ،دار الأمة،الجزائر، د:ط،2012

. **شاكر محمود** ،موسوعة الفتوحات الإسلامية،ط:1،دارأسامة،عمان،2002

. **شاكر مصطفى**،التاريخ العربي والمؤرخون،دار العلم للملايين،بيروت،ط1، 1990،

. **الشريف محمد الهادي** ،تاريخ تونس،دار سراس،تونس،ط3، 1993

. **العبادي مختار** ، في تاريخ والأندلس، دارالنهضة العربية، بيروت، دط ، دت.

. **العدوي إبراهيم أحمد** ، الأمويون والبيزنطيون،مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة،د.ط،1953

. **العريني السيد الباز** ،الدولة البيزنطية،دار النهضة العربية،بيروت،د:ط،د:ت

. **عمران محمود سعيد عمران**، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،دار المعرفة الجامعية،السويس،د:ط،2000،

. **غوتيه إميل فليكس** ،ماضي شمال إفريقيا،تر:هاشم الحسيني،مؤسسة توالت الثقافية،توالت،د:ط،2010

. **الفقي عصام الدين عبد الرووف** ،تاريخ المغرب والأندلس،مكتبة نهضة الشرق،القاهرة،1990،

. **بن قربة صالح وآخران**، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط،المركز الوطني للدراسات والبحث،الجزائر،د.ط،2007

. **لقبال موسى**،المغرب الإسلامي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط2، 1981

. **مرسي محمد محمد الشيخ**،تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،د:ط،1994،

. **المشرفي محمد محي الدين** ، إفريقيا الشمالية في العصر القديم ،دار الكتب العربية،بيروت،ط:1969،4

. **مؤنس حسين**، فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية، د:ط ، د:ت

ثانيا : قائمة الموسوعات والقواميس والأطالس :

. **بدوي عبد الرحمان بدوي**،موسوعة المستشرقين،دار العلم للملايين،بيروت، ط3 ، 1993

. البعلبكي منير ، معجم أعلام المورد،دار العلم للملايين،بيروت،ط:1، 1992

مسعود الخوند،الموسوعة التاريخية الجغرافية،ج:7، مؤسسة هانياد، بيروت، د:ط ،1996

. الزركلي خيرالدين ،الأعلام، ج3 ، دار العلم للملايين،بيروت،ط15، 2002

. هنري س. عبودي ، معجم الحضارات السامية جروس برس ،بيروت ،ط:2 ،1991

. محمد فريد وجدي،دائرة معارف القرن العشرين،المجلد الثاني،دار
الفكر ،بيروت،د:ط،د:ت،

. مؤنس حسين،أطلس تاريخ الإسلام،الزهراء للإعلام العربي،القاهرة،ط:1، 1987.

- Charles Diehl , L'Afriquebyzantine, édErnestLeroux ,paris,1896.

المجلات :

- تونس عبر التاريخ ، مطبعة سنياكة ، ج : 1، 2007.

الرسائل الجامعية :

- الأوضاع العسكرية والإقتصادية لبلاد المغرب أثناء الإحتلال البيزنطي ، أطروحة دكتوراه الدولة في تاريخ آثار المغرب القديم .

فهرس الأعلام

أسماء الأعلام	أرقام الصفحات
ابن كثير	26،32،34،48،54،63،64،68،71،74.
الإصطخري	10
ابن أبي دينار	11
ابن خلدون	21،22،31،33،37،38،39،43،46،68
ابن عبد الحكم	8،25،32،34،36،44،71
ابن عذارى	11،14،26،37،39،48،49،54،64،65،66،68،71،72،74
أبو المهاجر	50،55،57،58،59،60،61

بشر بن أرطأة	34
البلاذري	9،33
بليزاريوس	25
جريجوريوس الثاني	24،37،38،39،40،42،43
جوستنيان	14،17،23،24
جوليان	7،21
حسان بن النعمان	48،58،67،68،69،70،71،72،73،74،75،76
الحميري	27
حنش بن عبد الله	57
خالد بن يزيد	73،74

أسماء الأعلام	الصفحات
زهير بن قيس	66،65،64،63،62،50،48
السلاوي	60،59،22
الطبري	31
طيبريوس	76
عبد الله بن الزبير	46،40،39
عبد الله بن سعد	46،43،42،40،39،38،37،36،35،34،31،8
عبد الملك بن مروان	73،69،65،46
عثمان بن عفان	42،36،35،34
عقبة بن نافع	72،66،65،60،56،55،52،49،48،37،32
عمر بن الخطاب	36،8
عمرو بن العاص	39،35،34،33،32،31
غوتيه	72،60،7
فوكاس	18،17
القلقشندي	10
قنسطانز	55،24
الكاهنة	75،74،73،72،70،67
كسيلة	76،64،63،62،60،59،57،56
ليونتيوس	76
المالكي	75،71،70،58،55،54،51،27،26
معاوية بن حديج	46،45،44،42،31
معاوية بن سفيان	48،44،43
المقدسي	9
مكسيموس	24،18
موريس	17

أسماء الأعلام	الصفحات
نقفور	45،43
النويري	71،68،48،49،39،38،35،27
هرقل	43،24،18،17
ياقوت الحموي	8
اليعقوبي	38،31
يزيد بن معاوية	50
يوليان	54
يوحنا	75

فهرس الأماكن:

-أ-

إفريقيا:7-8-9-11-14-19-20-24-25-31-35-36-42-43-44-45-48-50-52-56-57-58-59-61-62-64-66-67-68-71-73-74.

الأندلس:9-76

الإسكندارية:9-10-14-23-32

الأوراس:27-72-74

-ب-

برقة:8-9-10-11-14-19-25-31-32-33-37-52-65-66-71

بونة:69-

باغاية:70

بعقوبة:37

بنزرت:69

-ت-

تيهرت:14-53

تهودة:48-55-63

تلمسان:59

-م-

المغرب:7-8-9-10-11-14-17-20-21-24-28-31-44-45-48-53-57-67

موريتانيا:7-15-17-28

-ج-

جزيرة شريك:57-58-61

جلولاء:26-27-46

جبال نفوسة:9-14

جبال الونشريس:9-14

-ز-

زغوان:75

زويلة:11

-س-

سجلماسة:10-11

السوس:9-11-14-54

سلا:14

سردينيا:15

سبيطلة:19-26-38-40

سبرت:25

سبتة:28

سبرة:34

سوسة:46

-ش-

الشام:9-21-23

شقبنارية:63

-ص-

صقلية:56

صطفورة:69

-ط-

طرابس:8-14-15-17-19-25-27-28-29-31-33-34-37

طنجة:8-14-54

طنبذة:75

-ق-

قرطاج:7-15-19-26-51-56-61-62-65-67-68-70-71-75-76

القيروان:9-48-50-52-53-62-63-64-70-71-75

القسطنطينية:17-21-23-29-59-76

قسنطينة:28

قابس:19-37

مصر: 8-9-10-11-23-34-35-42-40 ممس: 63-64 المونيستير: 51 -ن- نوميديا: 7-15-17		

فهرس المصطلحات التاريخية:

-أ-

الأوضاع السياسية:17

-ب-

بلاد المغرب:7-10-11-14-17-24-67

بلاد إفريقيا:11

-ت-

التحصينات العسكرية:27

-ث-

ثورة الكاهنة:71

-ج-

الجيوش البيزنطية:27-28-38-45

جيوش المسلمين:27-37

-ح-

الحصون البيزنطية:49

الحلف البيزنطي:59-72

-ف-

فتح قرطاجنة:74

فتح طرابلس:33

فتح إفريقيا:31-34-35-45

فتح مصر:31-32

فتح برقة:31

-م-

موقعة تهودة:55

موقعة ممس:63-64